الوعي الإسلامي

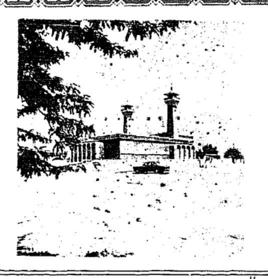
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ـ ٧٥ ـ غرة ربيع الأول ـ ١٣٩١ هـ ـ ٢٦ أبريل « نيسان » ١٩٧١ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للقوات المسلحة وهو يصافح أحد الجنود البواسل الذين اشتركوا فى المناورة العسكرية بالذخيرة الحية التى قامت بها مجموعة من اللواء السادس فى الجيش الكويتى



مسجد الشيخ فهد السالم أحدث المساجد بالكويت وأفخمها وله منارتان سامقتان تتوسطهما قبة من البلاستك ، فريدة فى صنعها ، وبه مصلى للسيدات .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الخامس والسبعون

غرة ربيع الأول سنة ١٣٩١ هـ

٢٦ ابريل « نيسان » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

خطاب معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية



القى معالى الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الخطاب التالى فى حفل افتتاح المؤتمر السادس لعلماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد ترأس معاليه وفد الكويت وكان برفقته الاستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس وكيل الوزارة المساعد .

فضيلة شيخ الأزهر ، السادة العلماء :

أحييكم بتحية الاسلام وأحمل لكم تحيات وتقدير الكويت البلد العربى المسلم الذى تعرفونه مادا يد العون والمساعدة لاخوانه المسلمين تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم) ، آملا لكم بالتوفيق والسداد فى هذا اللقاء الاسلامى الكبير الذى ينتظره المسلمون ويتطلعون الى ما يعرض فيه من بحوث ، وما يصدر عنه من مقررات ، تؤكد للعالم غنى الاسلام بكل مقومات الحياة . ومقدرته على معالجة المشاكل وايجاد الحلول العلمية لكل ما يحدث من أقضية الحياة وحتمية التطور .

أيها الاخوة :

اننا نلتقى هنا على المحجة البيضاء استجابة لداعى الله حماية لدينه وتفقها فى شريعته . وان خدمة الاسلام هى الهدف الاصيل لهذه المؤتمرات المباركة ، المنبثقة من مجمع البحوث الاسلامية ، وان ميدان العمل هو المجتمع الاسلامى الكبير وحدود هذا العمل هى النظر فى كتاب الله والفهم لسنة رسوله وحمل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم للعالم بوجهها المشرق ونظامها الخالد ، الذى كفل للانسانية العدل والمساواة والكرامة وأعطاها حرية التفكير والتعبير وابداء الرأى ، فكان بذلك أن كفل مصلحة الجماعة والافراد (العدالة الاجتماعية والشورى) .

ان تبعاتكم — يا علماء المسلمين — فى هذا العصر جسيمة ومسئولياتكم عظيمة . فشريعة الله بين أيديكم وأنتم سدنتها وحماتها ، وفيها الحل لكل مشكل والحكم لكل جديد ، والبديل عن كل مستورد محرم ، وهنا كان لزاما علينا أن

في مؤتمر علماء المسلمين

نكون على تقدير كامل لواقعنا ، وفهم واسع لشريعتنا ، وعمل مشـــترك يجلى حقيقة هذا الدين ويبرز فضائله ومزاياه وحيويته وقدرته على استيعاب جوانب الحيـــاة .

أيها الاخوة :

ان الاسلام يواجه اليوم هجوما عنيفا على مبادئه ومعتقداته ومعتنقيـــه ومواطنه ، وها هى الصهيونية العالمية بتأييد من الكفر والاستعمار قد ركـــزت جهودها الخبيثة فى أرض فلسطين لتكون لها منطلقا الى سائر البلاد العربيـــة والاسلامية ، وانكم أيها الاخوة تحملون أمانة الدفاع عن الاسلام والحفاظ على مقدساته وتحـــرير أرضه وانقاذ المستضعفين من المؤمنين ، وعلى عاتقكم يقع عبء ايقاظ الوعى وتعبئة الجهود للوقوف فى وجه هذا الزحف الوحشى على بلاد المسلمين .

وهنا اسمحوا لى أيها الاخوان أن أسجل بعض الملاحظات :

١) جميل بنا أن نكثر من البحث والتأليـــف واحياء التراث ونقوم بعقـــد اللقاءات والمؤتمرات ولكن مع هذا يجب أن يكون أول بند فى جدول الاعمال هو النظر فى اعداد التخطيط للمنهج والاسلوب الذى يجب أن يتبع ليقوى بناء جسر العمل والتطبيق والتنفيذ مع السلطات والشعوب . ان الاسلام لا يتغير ولكن الناس تغيروا فوجب أن يتغير الاسلوب ليفهم الناس الاسلام .

٢) انه لا تعارض بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية التى نادى بهـــا الاسلام فأول ما بدأ به محمد صلى الله عليه وسلم هو اقامة الوحدة ثم دخـــل الناس فى دين الله أفواجا . لذلك فاننا نبارك قيام الوحدة ونحذر من أية فرقة عربية أو اسلامية (ان فى الوحدة قوة وفى التفرق ضعفا) ، (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) .

٣) ان اخوانكم الفدائيين فى فلسطين يقاتلون فى سبيل الله وعملهم جهاد فى سبيل الله تجب مؤازرته ومده بالمال والرجال حتى التحرير والنصر ان شاء الله .

٤) ان الحرب الدائرة فى فلسطين هى قضية اسلامية كما هى قضية عربية وعلى المسلمين أن يهبوا للدفاع عنها وألا تقف الحكومات المعنيـــة وحدهـــا فى الميدان فى حرب أصبحت واضحة أنها موجهة ضد الاسلام والمسلمين (وأن من تغدى بأخيك اليوم تعشى بك غدا) .



العقيدة

الذكريات النبوية المحمدية التى يحتفل المسلمون بها على مدار العام كذكرى الهجرة ، والاسراء والمعراج ، والمولد تعتبر بلغة العصر مواسم توعية اسلامية ، تتيقظ فيها المشاعر ، وتتفتح القلوب ، وتتجه الانظار الى صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام تنشد القوة فى عقيدته ، والحق فى شريعته ، والخلق فى سيرته وتتلمس الطريق فى خطاه ، والخير فى هداه .

ومجالات التوعية فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف فسيحة الآفاق ، ومظاهر العظمة والقدوة فى حياة صاحب السيرة العطرة متعددة الجوانب ، وكل مجال من هذه المجالات الفسيحة ، وكل مظهر من مظاهر هذه العظمة جديـــر بالتنويه والتذكير ، ولعل أروعها وأولاها بالحديث ما جاء به من عقيدة كانت مركز التحول فى حياة الانسانية ، والاساس المتين لتكوين الامة الاسلامية ، وحسبك أن تدرك أن غرس العقيدة فى القلوب ، وتنشئة الرعيل الأول من المسلمين عليها استغرق من مدة دعوته صلى الله عليه وسلم أكثر من نصفها ، ومن القرآن الكريم كل ما نزل منه بمكة ، فقبل العقيدة الحية النابضة المتدفقة لم تكن هناك جدوى من التشريع العبادى ، ولا التقنين المالى ، ولا التنظيم الاجتماعى ، ولا التوجيه الخلقى ، ولا التخطيط العسكرى .

ما قيمة الآراء والأفكار والنظريات ، ما قيمـــة التشريعات والقوانـــين والتنظيمات ان لم تكن وراءها عقيدة تؤمن بها ، وتدفع الى العمل بمقتضاها ، وتحولها من معان مجردة ومواد وبنود مسطورة الى حقيقة حية ، وسلوك جاد . فالرأى لا يستلزم العمل ، أما العقيدة فانها تبعث على التطبيق والتنفيذ .

ان الرأى مهما بلغ من الصدق والوضوح لا قيمة له ما لم يتحول الى عقيدة تملأ القلب ، وتجرى فى الدم ، وتوجه السلوك ، وأقرب مثل لبيان هذه الحقيقة التى لا تحتمل الجدل والمناقشة ما يراه الآن سبعمائة مليون مسلم ، من أن الجهاد هو الحل الوحيد لحمل اسرائيل على الارتحال من أرض المسلمين ، وأن التضحية بالنفس والمال لا بديل عنها ، وقد ملأ هذا الرأى صفحات الكتب ، وأنهار الصحف ، وصدرت به قرارات وتوصيات ، ورددته شعارات ، وعلقت به لافتات ، فهـــل حشد هذا الرأى المسلمين فى كتائب زاحفة ، وهل أخـــرج هـــذا الرأى ما فى الخزائن من أموال طائلة ، وهل بدا لهذا الاجماع فى الرأى مظاهر جـــادة فى سلوك الافراد والجماعات ، فى الأسرة ، والمعهد ، والسوق ، والمصنع ، ودوائر العمل .. الجواب هو ما نرى ونحس ((لا)) بكل ما فى كلمة لا ، من سلبية وخمود ،

وتوقف عن الحركة ، فلا المسلمون تجمعوا ، ولا الكتائب زحفت ، ولا الامـوال خرجت ، ولا مجرد السلوك تغير ، لأن الجهاد مجرد رأى لا عقيدة ، والرأى يسهل التحول عنه ، والتنصل منه ، والاعتذار عن العمل بمقتضاه ..

أما حين يتحول الجهاد الى عقيدة ، والبذل الى ايمان ، فانك تجد المسلمين من أقصى الارض يشمون رائحة الجنة ، فى أرض فلسطين ، فيسرعـون ولا يقعدون ، ويرون الله ورسوله أبقى لأولادهم من الدرهم والدينار ، فيبذلون ولا يبخلون .

ان الفصل فى معركتنا مع الصهيونية الباغية ليس فى حاجة الى مزيـد من الآراء ، ولا كثير من الدراسات ، ولا عدد من الحلول ، فقد تنوعت الآراء حتـى تضاربت وكثرت الدراسات حتى تعارضت ، وتعددت الحلول حتـى تعقـدت ، وكثرت العروض حتى رخصت .. لسنا بحاجة الى رأى جديد ، ولا فكر جديد ، وانما نحن فى حاجة الى عقيدة تجعل الجبان شجاعا ، والشحيح كريما ، والمتردد مقداما .. عقيدة تسوق المؤمنين الى ميدان الحديد والنار .. عقيدة تقتحـم الاسوار ، وتدك الخطوط ، وتزلزل الجبال ، وتفرض على التاريخ مسيرتها .

ان القرآن الكريم يصف الفارغين من العقيدة بصفات تجعل الركون اليهـم خيبة ، والاعتماد عليهم هزيمة ((يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم)) و ((اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)) ((تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)) ((يحسبون كل صيحة عليهم)) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يدمغهم بالغدر والخيانة ، ((ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الذئاب)) والعرب قديما قالت فيهم : ((ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل)) .

الرأى صورة وشكل : والعقيدة حقيقة وجوهر .

الرأى جثة هامـدة : والعقيدة حياة وحركة .

الرأى ألفاظ وكلمات : والعقيدة عمل وتنفيذ .

الرأى قذيفة فارغة : والعقيدة متفجرات مشتعلة .

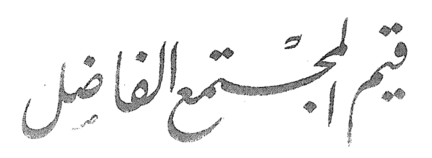
جدير بالمسلمين أن يجعلوا العقيدة مجالا للتوعية فى الاحتفال بيوم الذكرى الخالدة ، فاننا فى أشد حالات الضرورة الى عقيدة صاحب الذكرى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى صدقها وثباتها .. عقيدة لا تهاب قوة الصاعدين الـى القمر ، ولا بأسهم وعلمهم ، ولا ((تكنولوجيتهم)) بل ولو استطاعوا أن يمسكوا بالشمس والقمر ، ويضعوها فى أيدينا ((والله لو وضعوا الشمس فى يمينـى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الأمر الذى جئت به ما تركته)) .

اننا فى حاجة الى عقيدة الذين رأوا أعداءهم رأى العين فى بدر ثلاثـة أضعافهم مدججين بأسلحة أضعاف أضعاف ما معهم ، فما زحزحهم ذلـك من موقفهم ، ولا أخرهم عن زحفهم ، بل قالوا لقائدهم : ((أمض يا رسول الله لمـا أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضتـه لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك ما تقر به عيناك ، فسر على بركـة الله)) .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

صفوان الحنبلي





للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ : بجامعة الكويت

حدث البخارى قال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الناس كالابل المائة (١) لا تكاد تجد فيها راحلة » : رواه الامام مسلم (٢) والامام أحمد (٣) .

١ — عرفته منذ أزمان باحثا منقبا غائصا على الدر فى كل لج ، متابعا للمثل الكريمة فى أى منعطف وفج يتحرى اللفظ وينتقى المعنى ، واصلا ليله بنهاره ، وصباحه بامسائه ، دارسا فى عزم وجد يجرى وراء صيوده فى مظان وجودها فيحظى بالكثير من تراث الآباء قائلا : « كل الصيد فى جوف الفرا » موقنا بأن هذا التراث هو الذى خلدوا به وخلد بهم ، ولن يعيه الا من سار على دربهم وسلك طريقهم ، متجافيا عن راحته مجانفا لمطالب البدن الا بقدر ، والتقيت به — ذات مساء — فى رحلة خارج البلاد ساعيا وراء الدر النادر فى محيط متلاطم الأمواج من العالم الرحب الفسيح ، حيث ثوى على يدى نقلته من مكامنه فى غفلة من عقل أصحابه وورثته ، ولم تقعد به سن تقدمت ، ولا سنون بدا أثرها فى شعر أبيض ، وعظم قد وهن ، وتجاذبنا أطراف الحديث ، والحديث ذو شجون ، بدأته مداعبا وكنت أعلم من أمره أنه حليف فلسفة وصنو حكمة ،

---

١ — قال الخطابى العرب تقول للمائة من الابل — ابل ، يقولون لفلان ابل أى مائة بعير ، ولفلان ابلان أى مائتان فقوله مائة تفسير للابل ، وقال ابن الأثير الراحلة من الابل البعير القوى على الأحمال والأسفار والذكر والأنثى فيه سواء ، وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق (بسكون اللام) وحسن المنظر ، فان كانت فى جماعة من الابل عرفت ، وقال القرطبى الذى يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذى يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود ، كالراحلة فى الابل الكثيرة ، وقال ابن بطال — معنى الحديث أن الناس كثير والمرضى (بضم الميم وفتحها) منهم قليل .

٢ — فى رواية الامام مسلم عن طريق معمر عن الزهرى « تجدون كابل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة » .

٣ — وفى رواية الامام أحمد عن سالم عن أبيه قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة » ورواه الترمذى وابن ماجة بلفظ مقارب .

ومدمن صداقة الأقدمين من بناة الانسانية الفاقهة .

قلت سيدى .. هل وصل الى علمك أن « ديوجين » عثر على ضالته قبل أن يلقى عصا سيره ويرقد بين الصفائح والجنادل ؟ أم أن البحث اعياه وعجل به الى مثواه أسفا حزينا كاسف البال مقطوع الرجاء خائب الأمل ؟ فأجاب صاحبى هون عليك ، ولا تلق بالا لمن ذهب ، ومصباحه أحاديث فى الغابرين بعد فلسفة تبدو للبعض عرجاء ولغير مدركها بلهاء ، وعرج مسرعا على الوادى الخصيب ، حيث الجنى الطيب والثمر الشهى فهناك مصدر الخير الخالص ، ومشرق النور الساطع ، ومورد العلوم الهادفة ، وينابيع الحكمة الصافية ، التى علت فى مصدرها حتى ما تطاول وسمقت فلا تدرك قننها ودنت قطوفها وتدلت ، فكانت قاب قوسين أو أدنى من راغبيها وقصادها ، وذهبت مثلا فريدا فى بابها ، باب التوجيه الانسانى الحق الى الأهداف السامية التى تضرب اليها آباط الابل ، وتشد الى رحابها الرحال ، وتطهم الجياد ، حيث الهادى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمع اليه بقلب واع ، والق السمع وأنت شهيد ، تجمع أطراف الفضائل ، وتصل الى قوام الحياة الحرة العزيزة المشيدة على أسس ثابتة ، من بناء مجتمع متماسك ، من كل جوانبه عياف للنقص ، ساع فى سبيل الكمال ، وان ندر فى غيره الرجال ، فقد حوى هو وسيلة للسيادة والريادة المسعدة فى العاجلة والآجلة .

٢ — يحذر سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاندفاع وراء المظهر قبل ابتلاء المخبر ، فالنظرة العابرة تريك فى سوق الابل أنواعا وجمالا ذات جمال ، ولدى الفحص تخرج من الابل بواحدة تصلح راحلة ان وفقت ، وقد لا تجدها ان تسرعت ، ولذا رسم للمجتمع الفاضل خطوطه وأوضح معالمه وحض على انتهاجها فى حزم وعزم وثبات ودءوب ، فقال عليه الصلاة والسلام « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت محبته ، فمن صفات العائش فى حمى الاسلام حبه لغيره من البشر ، والمسارعة الى معونة من استعان به ، وكف أذاه عن قومه والاحسان الى من أساء اليه فوصل من قطعه ، وأعطى من حرمه ، وصفح عمن ظلمه ، ولم يقف موقف الخصومة أبدا من عشرائه واخوانه ، وجعل أساس تعاطفه مع الآخرين الحب فى الله والبغض فيه ، فقد روى البخارى عن أنس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف الى من هو أهله والى غير أهله ، فان أصبت أهله أصبت أهله ، وان لم تصب أهله كنت أنت أهله » وروى الديلمى : « أن الله يحب اغاثة اللهفان » وروى ابن عساكر عن أبى هريرة « ان الله يحب المداومة على الاخاء القديم فداوموا عليه » وروى مسلم عن قتادة والبخارى عن أنس « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، واثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة » .

ويقول الله تبارك وتعالى : — ومن أصدق من الله قيلا — « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومن جميل ما يروى ما جاء عن البيهقى أنه قال : « شتم رجل ابن عباس رضى الله عنهما فأجابه أتسبنى وفى ثلاث خصال ؟ انى

لأسمع بالحاكم يعدل فى رعيته فأحبه ولعلى لا أقاضى اليه أبدا ، وانى لأسمع بالغيث يصيب بلدا فأفرح وما لى به فيه سائمة ولا راعية ، وانى لآتى على آية من كتاب الله فأود أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم » .

ولعل أبا العلاء فطن الى معنى ما قصد اليه ابن عباس فأنشد شعرا :

ولو أنى حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

٣ — يعنى الاسلام بالمجتمع كثيرا ، كى يقوى ويشتد وتنمو روابطه الكريمة ، ويكثر فيه الرجال الصالحون والنساء الصالحات ، فاذا به يثمر رواحل عديدة فيزيد حيزه وتتضاءل شروره ، وتتلاشى فيه الأنانية والأثرة وحتى يصل الى هذا الهدف ، يولى الأسرة اهتماما عظيما فينظر الى عمدها المتمثلة فى الرجل والمرأة معا فصار للمنزل المقام الأول، لأنه أساس لنظام المجتمع كله ، فالمقر الأول للذرية والأولاد بنين وبنات ، هو المكان الذى استنشقوا لأول وجودهم فى هذه الحياة هواءه فاذا زكت بهم التربة الأولى طابت ثمارهم وحلا جناهم ، ولما كان الرجل هو الذى يبحث عن شريكة حياته ، وجهه الاسلام الى القرينة القويمة الخلق ، العارفة بربها ، المؤمنة بأسرتها ، البعيدة عن مظان الشبه ومصادر الزلل ، فقد روى ابن عدى عن أنس مرفوعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس » . وحث على مداومة الاحسان الى الزوجة والأولاد وتعهدهم بما يديم استقامتهم ، ويمضى بهم فى مدارج الكمال ، روى البخارى قول سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجعوا الى أهليكم فكونوا فيهم ، وعلموهم وبروهم » وروى ابن عساكر عن على كرم الله وجهه ، أن رسول الله قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » ويستفاد من تتبع الأحاديث الشريفة فى هذا المجال أن البيت العامر بالذرية خير وأجدى على الانسانية من بيت خلا منها،ومما جاء فى هذا الباب ما رواه ابن حبان قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه » وروى الترمذى : « الولد من ريحان الجنة » وواضح ان صقال الرجال والنساء لا يكون الا فى الأسرة القويمة السلوك التى يسهر فيها الوالدان على الاهتمام بأولادها واعطائها صورة السلوك الصالح فى سلوكها عمليا ، فالنموذج العملى له تأثيره السحرى فى الناشئة خصوصا ، والصغار يقلدون الكبار فى كل ما تقع عليه أعينهم منهم ، ففى الحديث الذى رواه البخارى « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم فان أولادكم هدية اليكم » ومعلوم أن التفريط فى الهدية كفران لحق من أهداها ، وباعث على غضبه وسخطه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة الراعية لأولادها المنزلة الكريمة يوم القيامة فضلا عن الحياة السعيدة فى الدنيا فقال : « أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهى معى فى الجنة » .

وحث عليه الصلاة والسلام على العدل بين الأولاد فى كل شىء ففى الحديث الذى رواه الطبرانى يقول صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » معارضا بذلك موقف بعض الجاهلين من البنات وكرههم لهن ، وفى مسند أحمد وصحيح الطبرانى قوله عليه السلام

« لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات » وكره رسول الله فعل من لا يعطف على أولاده ، ففى مسند أحمد أن الأقرع بن حابس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال له : ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من لا يرحم لا يرحم » .

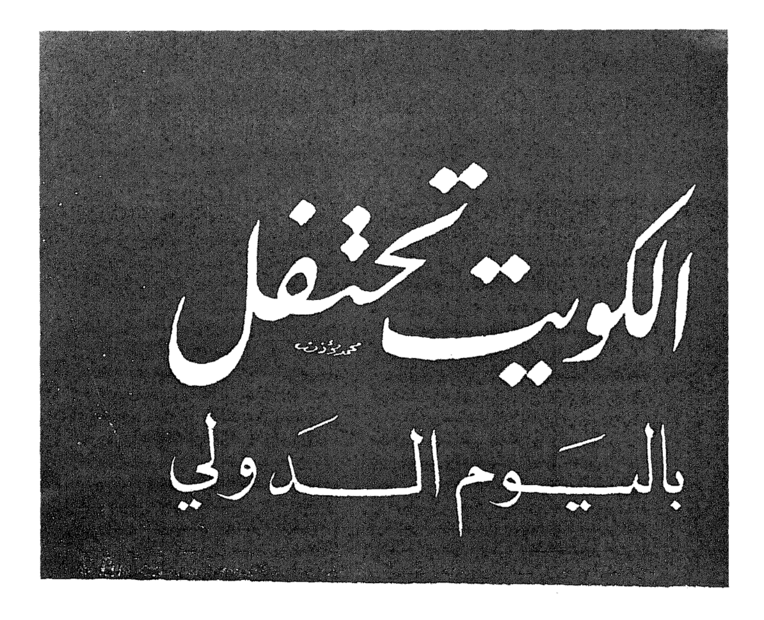
٤ — وينتقل الاسلام بتوجيهاته الكريمة من الأسرة الى المجتمع العام حاثا على ترابطه محذرا من الفرقة والانقسام فيقول صلى الله عليه وسلم « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » رواه عبد الله بن أحمد وفى الطبرانى من فرق « بتشديد الراء » فليس منا » وروى الترمذى : « يد الله على الجماعة وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وفى البخارى « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » وعن أبى ذر الغفارى فيما رواه أحمد « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله لن يجمع أمتى الا على هدى » ومما يزرع المحبة ويمكن لها من الجماعة هو التراحم والتواد ، وبذل المعروف لكل من عرفت ومن لم تعرف ، والاحسان فى المقال والأعمال ، وأحق ما يورد فى هذا الموضع للاقتداء والتأسى ما كان عليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلق كريم استحق ثناء الله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ووصفه ربه فقال « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وحض عليه السلام على الرحمة حضا عاما فقال « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه البخارى ، وروى أن الامام الشعبى ألقى السلام على وثنى قائلا « السلام عليكم ورحمة الله » فقيل له أتدعو له بالرحمة والرحمة استغفار ؟ فأجاب أليس فى رحمة الله يعيش ؟ وهذا ضرب من الاحسان الى الناس جميعا وبه تسود المحبة بينهم .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

والقول فى هذا يطول وقد عمرت به مجتمعات اتخذته سننا وطريقة فسادت .

وتطورت الى الافضل دائما وغفلت عنه أخرى فهوت وتمزقت أيدى سبا ، وصارت أثرا بعد عين ، وجرت مثلا سيئا فى الغابرين .

٥ — والخلاصة أننا لا نجد مصدرا ولا موردا لكل أصول الانسانية الفاضلة استوعب جميع مقوماتها الخيرة كهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث موضوع البحث يحذر من الاندفاع وراء المظاهر الخلابة ويحث على حسن الاختيار والتروىوالأناة فى اصطفاء العشراء ، ووزنهم بالموازين الصادقة التى رسمها رب العالمين وأوحاها الى المصطفين الأخيار ، فالظواهر قد تخدع ، وكثيرا ماأوقعت فى مشكلات كان لها الأثر السىء فى حياة المجتمعات ، والتجارب هى مفاتيح القلوب ، وطول الاختبار قد يبين عن خبىء لا يدرك لأول وهلة والناس كالابل المائة والراحلة بينها قليل ، ولا استقامة لأمورهم الا بالسعى الحثيث الى اقتفاء آثار المبشرين والمنذرين من صفوة خلق الله ، أولئك هم رسله وأنبياؤه وعلى قمتهم وفى مقدمتهم خاتمهم سيدى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاللهم وفقنا لانتهاج طريقه واتباع سبيله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير .. »



للقضاء على التمييز العنصري

احتفلت الكويت مع سائر دول العالم باليوم الدولى للقضاء على التمييز العنصرى .

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اتخذت قرارا بتسمية عام ١٩٧١ م عاما دوليا للعمل على مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ، وانه يجب الاحتفال بها باسم الكفاح المتزايد ضد التمييز العنصرى بكافة أشكاله ومظاهره ، وبأسم التضامن الدولى مع هؤلاء الذين يكافحون ضد العنصرية ، وناشدت الجمعية العامة بالحاح كافة الدول تشديد وتوسيع جهودها على المستويين الوطنى والدولى من أجل ضمان القضاء السريع والكامل على التمييز العنصرى بما فى ذلك سياسة الفصل بين الأعراق ، والمظاهر الأخرى للعنصرية وقد خصصت دولة

الكويت الأسبوع الأخير من الشهر الماضى للاحتفال بهذه المناسبة بناء على اقتراح من جامعة الدول العربية بأن تحتفل الدول العربية محليا بهذه المناسبة .

وقد عقد مجلس الأمة جلسة استثنائية مساء ٢١ مارس الماضى شجب فيها سياسة التفرقة العنصرية والصهيونية العالمية ، ودعا الى دعم حركات التحرير فى العالم ، وخاصة حركة التحرير الوطنى الفلسطينى .

وقد ألقى سعادة خالد الغنيم رئيس المجلس الكلمة التالية : —

حضرات الزملاء المحترمين .. ،

تعلمون حضراتكم أننا نجتمع اليوم فى عام سمى — السنة الدولية من أجل مكافحة العنصرية والتميز العنصرى — وفى الحادى والعشرين من شهر مارس ١٩٧١ المعتبر (اليوم الدولى للقضاء على التمييز العنصرى) نجتمع استجابة لهذين المعنيين فى عامنا هذا ، وفى يومنا هذا بل واستجابة كذلك وقبل ذلك لما أكده ديننا الاسلام منذ أربعة عشر قرنا عندما كرس هذه المعانى على أوسع نطاق يتصوره العقل ، والى أبعد مدى يمكن أن تبلغه المساواة بين بنى البشر ، وذلك فى العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح وأفعالهم .

فمن القرآن الكريم وعلى سبيل المثال نذكر قوله تعالى **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .**

ومن الأحاديث الشريفة أخص بالذكر قول الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام **(الناس سواسية كأسنان المشط)** وقوله فى خطبة الوداع **(ياأيها الناس ، ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب .. ألا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى) .**

وعن السلف الصالح أخص بالذكر قول سيدنا عمر بن الخطاب لواليه على مصر عمرو بن العاص عندما آذى ابنه قبطيا مصريا (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .

من أجل هذه المعانى الاسلامية العظيمة التى اعتنق جانبا هاما منها ميثاق الأمم المتحدة ، والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، والتى تكافح منظمة الأمم المتحدة كفاحا عظيما من أجلها ، وتعاونها فى ذلك الأمانة العامة واللجان والوكالات والهيئات والمؤتمرات المتعددة معاونة أوضحت أن التفرقة العنصرية التى لا تزال قائمة فى قلة من الدول حتى اليوم تعتبر وصمة وعارا فى جبين القرن العشرين .

فلنعلن من هذا المكان أننا نشارك الأمم المتحدة مثلها هذه ، ونساندها فكريا وقلبيا وماديا فى كفاحها المذكور ، ونندد أيما تنديد باصرار دولة جنوب افريقيا خاصة على التفرقة العنصرية ، مهدرة بذلك أبرز الحقوق الأساسية والحريات الفردية والاجتماعية التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وأكدها الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، كذلك نوجه الأنظار بأعلى صوت وبكل أسف وألم الى ما استحدثته اسرائيل فى قلب العالم العربى من تفرقة عنصرية نازية مريرة ضد العرب وما استحدثته بذلك

فى العالم من عنصرية جديدة أشد ضراوة وقسوة ووحشـــية فى عصرنا الحاضر ، عصر الأمم المتحدة والمساواة ، وحق تقرير المصير .. والتعاون الدولى للقضاء على بقايا التمييز العنصرى فى العالم .

فالى المكافحين من أجل القضاء على التمييز العنصرى أبعث من هذا المكان بتحية مجلس الأمة وتأييده لهم أينما كان مكانهم فى العالم .

والى الممارسين للتمييز العنصرى أينما ثقفوا أبعث باستنكارنا ، وأندد باصرارهم على طريقهم الوعر ، وتمييزهم العنصرى البغيض .

وفى الختام أستأذنكم فى أن أبعث الى الســـيد الأمين العام للأمم المتحدة بتقديرنا لجهود المنظمة الدولية وأجهزتها ، وجهوده الشخصـــية من أجل القضاء على التفرقة العنصرية فى العالم بأسره ، وتنديدنا بما عاق ويعوق تلك الجهود المخلصة من معوقات مغرضة ومحاولات آثمة للاستمرار فى تلك التفرقة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والقى بعد ذلك الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية كلمة هذا نصها : ــ

سعادة الرئيس :

أيها الأخوة أعضاء مجلس الأمة يسعدنى أن أتحـــدث اليكم اليوم نيابة عن زملائى أعضاء الحكومة بمناسبة الاحتفال هذا العام بالعام الدولى للعمل من أجل مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ، ونحن اذ نحتفـــل بهذه المناسبة فاننا نعرب عن تضامننا مع جميع الشـــعوب التى تعـــانى من ويلات التفرقة العنصرية ، فميثاق الأمم المتحدة يؤكد ايمانه بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

وانه لما هو جدير بالذكر حقا فى مثل هذا اليوم هو أن ديننا الاسلامى الحنيف سطر منذ بزوغه مبادىء أساسية فى العلاقات الانســـانية ، اذ يقول الله جل جلاله فى كتابه العزيز **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند اللـــه أتقاكم)** صدق الله العظيم .

وبذلك يكون الاسلام الحنيف الذى نعمل بهديه أول من عمق مفهوم المساواة ، ومبادىء العدالة ، ومعانى الكرامة الانسانية .

وانه لمن المؤلم حقا ونحن نشارك جميع شعوب العالم وحكومـــاته بهذه الذكرى أن نرى قضيتنا العربية ــ قضية فلسطين ــ لا تزال تتخبط فى أروقة الأمم المتحدة منذ ثلاثة وعشرين عاما بدون حل ليكون ضحيتها شعب آمن اغتصبت الصهيونية أرض آبائه وأجداده ، وجعلته شعبا من اللاجئين ، ذلك لأن اسرائيل بتكوينها الحالى ما هى الا دولة عنصرية فى تركيبها ، ونرى اخواننا العرب تحت الاحتلال يتعرضون لأقسى أنواع التفرقة العنصرية الأمر الذى يشكل خرقا فاضحا لجميع المواثيق الدولية الخاصة بمحاربة التميز العنصرى بكافة أشكاله وصوره .

ايها الأخوان .

لقد سبق لدولة الكويت ايمانا منها بمبدأ محاربة التفرقة العنصرية أن أقرت الاتفاقيات الدولية الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية بكافة صورها وأشكالها بموجب القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٨ ، وقد أودعت الدولة وثيقة انضمامها الى تلك الاتفاقية المهمة بتاريخ ١٥ اكتوبر عام ١٩٦٨ ، ولقد جاءت الاتفاقية المذكورة لتتمشى الى حد بعيد مع دستور دولة الكويت الذى نصت المادة ٢٩ منه على (الناس سواسية فى الكرامة الانسانية وهم متساوون لدى القانون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين) وجاءت خطوة دولة الكويت منسجمة أيضا مع قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٣١٦ بتاريخ ١٩٦٧/٣/١٨ حيث أوصى الدول العربية الأعضاء بالانضمام الى تلك الاتفاقية التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٦٥/١٢/٢١ وانسجاما مع هذا المبدأ الذى تؤمن به دولة الكويت ، فقد صادقت الدولة على الاتفاقية رقم ١١١ التى تحارب التمييز فى الاستخدام أو المهنة ، كما صادقت على اتفاقية اليونسكو لعام ٦٢ ، والخاصة بمكافحة التمييز فى التعليم ، وكذلك الاتفاقية الخاصة بالقضاء على الرق ، وتلك التى تتعلق بتحريم السخرة والعمل الأجبارى، وانسجمت دولة الكويت فى سياستها الخارجية مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمقاطعة جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا ، واتخذت اجراءات لأحكام تطبيق المقاطعة ، وعدم التعامل مع حكومات تلك الأقطار .

أيها الأخوان :

أن ما يسود عالمنا اليوم من أزمات وصراع تعود أسبابه الى قيام بعض الفئات بممارسة هذه السياسة البغيضة سياسة التفرقة والتمييز بين أبناء البشر .

ولعله من أولى واجبات المجتمع العالمى فى عصرنا الحاضر ان يتكاتف ويعمل بجد واخلاص ضمن اطار الأمم المتحدة من أجل القضاء على هذه الآفة التى تواجه البشرية ،لكى ينعم العالم بما يصبوا اليه من أمن وسلام وطمأنينة والله ولى التوفيق .

هذا وقد تكلم فى الجلسة بعض السادة النواب .

وأشاروا فى كلماتهم الى أن التفرقة العنصرية تمارس بأبشع صورها فى فلسطين المحتلة وكمبوديا ، والمستعمرات البرتغالية ، وأن الولايات المتحدة تغذى هذه التفرقة ، والى أن اسرائيل دولة عنصرية تقوم على أساس التفرقة بين المواطنين العرب وغيرهم ، وقالوا ان الأمم المتحدة التى طالبت بالاحتفال بهذا اليوم كان الأجدر بها أن تنفذ مقراراتها بشأن حقوق الانسان ، والقضاء على التمييز العنصرى ، وفى نهاية الجلسة التى استغرقت زهاء ساعتين أعلن الرئيس أن المجلس قرر ارسال برقية الى المستر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، يعلن فيها أن الكويت تدين التفرقة العنصرية بشتى الوسائل ، وتؤكد وجوب دعم حركات التحرير الوطنية فى العالم ، وخاصة حركة التحرير الفلسطينى ضد العدو الاسرائيلى .

الزكاة

١

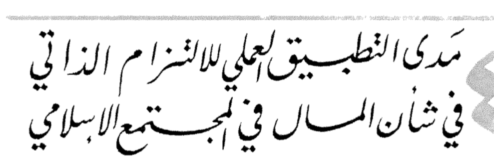
الزكاة العبادة هي اخراج المال عن التزام ذاتي، في حرية واختيار



صلتها في فاعليتها بالصلاة

٣

الانفاق في سبيل الله صنو الزكاة في الالتزام الذاتي



في مجال الاعطاء الحر للمال :

للدكتور محمد البهي

الزكاة ((العبادة)) ليست هى اخراج نسبة معينة من أربـــاح رأس المال فى التجارة ، أو الصناعة ، أو الزراعة أو مما يكتنز ويدخر من مال ، وليست هى أيضا اخراج نسبة خاصة مما يكتشف أو يستغل من معـــادن الارض ، أو مما يعثر عليه من ذهب أو فضة مدفون فى باطن الارض ، أو من رأس المال نفسه أن بلغ نصاب الزكاة ولم يتغير بنقص فى آخر العـــام .. ليست هذا كله فحسب .. وليست هى كذلك صرف ما يخرج من المال باسم الزكاة فى مصارف الزكاة التى جاء القرآن الكريم بتحديدها . وانما بالاضافة الى اخراج النسبة المعينة من الارباح أو من المال نفسه ، والى صرفها فى المصارف المحددة لها ، ان اخراجها وصرفها لم يكن واحد منهما عن طريق ((الالزام)) . والا كان شأنها شأن الضريبة يلزم بها قانون الدولة تلك الدولة التى هى من صنع الانسان وثمرة فلسفته .

وانما « العبادة » فى الزكاة أن يكون اخراج المال وصرفه ناشئا عن « التزام » المؤمن بالله نفسه للاخراج والصرف معا . وهو التزام ليست فيه شائبة اكراه ، لأنه نتيجة الايمان .

والمؤمن لا يدخل الايمان مكرها . بل ايمانه يتم بفعل مشيئته ومحض اختياره . اذ لا يقبل ايمان المكره عند اللـــه ، ولا يترتـــب عليه أثر ما فى حياته .

ولذا : « التزام » المؤمن هو قربى منه الى الله ، هو عبـــادة . اذ العبادة « التزام » حر بأداء ما يترتب على الايمان ذاته :

فالايمان اذ يوجب الصلاة والزكاة مثلا على المؤمن بالاسلام يلتـــزم المؤمن به عن مشيئته بأداء الصلاة والزكاة . والصلاة أو الزكاة من جانب آخر فى أداء أى منهما تزكى ايمان المؤمن وتتفاعل معه تفاعلا ايجابيا . واذا زاد ايمان المؤمن وقوى كان « التزامـــــه » بالاداء عندئذ أيسر وأنشـــط وأدوم .

ولأن الزكاة عبادة والتزام ذاتى ، وليست قهرا ، ولا الزاما من خارج الذات عن طريق القانون أو السلطة التنفيذية ، على نحو ما فى الدولة المعاصرة — لا تكون الضريبة بديلا عنها ، ولا هى بديلة عن الضريبة ، لأن معنى العبادة والالتزام الحر ليس موجودا فى الضريبة ، فضلا عن اختلاف المصارف بين الاثنتين .

وما يذكر عن « ديمقراطية » التشريع فى الضريبة فانه لا يوفر فيها اطلاقا عنصر المشيئة والرغبة الفردية والقربى فى غير مقابل ، الذى هو متوفر فى الزكاة .

شتان بين « العبادة » فى أداء الزكاة لله وبين « الواجب » فى أداء الضريبة للدولة .

شتان بين « جلال الله » الذى يتقرب اليه المزكى بزكاته ، و « معنى الدولة » الذى يوجب على دافع الضريبة طاعته فيما يدفع من ضرائب .

ان قلب المؤمن لا يعمر الا بالمحبة لله ، ولكن قلب الفرد فى المجتمع المعاصر قلما ينطوى على رضا بالدولة أو بنظام الحكم القائم . ومن هنا تعبر الدولة المعاصرة عن افلاسها فى كسب طاعة الافراد طاعة نفسية لنظامها ، عندما يكثر فى اصدار التشريعات وتزيد فى قوى « الأمن » الداخلية التى تؤلفها لصيانة النظام والأمن فيها .

ولأن العبادة التزام حر بقربى الى الله ، يترتب على الايمان به ، ليس لتركها — اذا ما تركت — « حد » فى الاسلام وان كان تاركها عاصيا . أى ليس لتركها « عقوبة » معينة جاء بها الاسلام ، كعقوبة القتل أو السرقة أو مباشرة الزنا مثلا (١) . اذ من غير المعقول أن يجتمع ايمان بالله على سبيل الحقيقة مع ترك الصلاة ، أو ترك الزكاة ، أو ترك الصوم . فالأمر فى حقيقته يدور بين « وجود » الايمان بالله أو « عدم وجوده » . فان وجد الالتزام الحر بنتائجه قائم . والعبادات من بين ما يتلزم بأدائه أداء حرا ، تبعا للمشيئة فى الايمان .

وان لم يوجد الايمان فليس هناك التزام يؤدى ، عبادة أو غير عبادة .

ومن هنا تارك الصلاة أو تارك أية عبادة أخرى ان أريد محاسبته ، فيجب أن يحاسب على الايمان أو الارتداد فيه ولو بالعمل ، وليس على ترك العبادة فى ذاتها . ولذا الحرب التى واجه بها الحقيقة أبو بكر — رضى الله عنه — مانعى الزكاة كانت فى حقيقة أمرها بسبب ارتدادهم عن الايمان ، وليست بسبب تركهم عبادة الزكاة .

. . .

هذا الالتزام الحر لمعنى العبادة فى الزكاة هو الذى يجعل من الزكاة عطاء حرا للمال ، أى عطاء غير مشروط بمبادلة منفعة أخرى ، وغير مكره عليه من أحد ، وغير متعثر أو متردد فيه .

ليست هناك عقبات نفسية دونه ، ولا هناك محاولات للهرب منه .

وهنا تحقق المنفعة العامة للمال لأنها عطاء المال ، بدون مقابل .

ولأن أداء أية عبادة يرتبط بالايمان بالله كانت صلة الزكاة صلة وثيقة بالصلاة خاصة التى هى كمصدر لنمو فاعلية الايمان ، وكعبادة يلتزم فيها بتحويل مفهوم « وحدة الالوهية » الى « حقيقة نفسية » مترسبة فى أعماق النفس .

فالصلاة كعبادة تترتب هى أيضا على الايمان بالله فيلتزم المؤمن

بأدائها التزاما التزاما حرا مطلقا خالصا ولكن طبيعتها ، وهى دعاء لله ومناجاة اياه ، وتوسل اليه فى ان يعينه على الصراط السوى ، وفى ان يحمى من الانحرافات والنزوات التى يدفع اليها الاتجاه المادى فى الحياة ، تتصل بذات الله فتكون له فى ذات المصلى خشية ، وفيه أمل فى النجاح والانقاذ .

وهذا الأمل وتلك الخشية هما العاملان فى زيادة الايمان نفسه بالله . وكلما زاد الايمان وقوى كلما كانت القدرة على اجتياز العقبات النفسية — سواء بحكم العادة والالف ، أو بحكم التوجيه السىء السابق ، أو بحكم سيطرة الانانية — فى سبيل أداء الالتزامات التى تترتب أساسيا على الايمان بالله .

والزكاة وان كانت عبادة يلتزم بها المؤمن نتيجة ايمانه بالله ، الا أنها ترتبط بالمال والملك والاقتناء ، أى ترتبط بما تحرص الذات عليه بحكم الغريزة وبحكم الانانية فى سبيل « حفظ البقاء » للذات . حتى يتخيل للبعض أن خلود البقاء هو فى جمع المال وادخاره : « ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده » (٢) .

وقد تمضى الحياة كلها على البعض الآخر فى سبيل تكاثر المال والأولاد : « ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر (٣) . بحيث يكون الهدف لأى منهما هو ذات المال ، سواء نظر من خلاله الى خلود النفس فى بقائها أو الى القوة التى يحفظ بها وجوده وكيانه .

والحرص على المال المقتنى ، والسعى لاقتنائه طبيعة فى النفس البشرية لا تتخلى النفس عنها بحال . واذا وجدت الظروف معدة لتحقيق هدف الاقتناء فان الشح سيكون لازما لها . وعندئذ يشتد الحرص على المال فى اقتنائه ، ويزداد الأمر صعوبة فى انفاقه .

ولارتباط الزكاة بالمال كانت عبادة الزكاة فى قوتها نحو التحويل من الشح والامساك الى الاعطاء الحر بحاجة الى فاعلية أكثر من طريق الايمان بالله فى قوته وفى حيويته . ومن هنا كان اقتران أداء الزكاة بأداء الصلاة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، عندما يتحدث عن شأن العبادة أو يوصى بها ، أو يلخص قوام الروحية فى الدين . فيقول الله تعالى :

١ — « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة .

٢ — « وما أمروا :

« الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ،

« ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ،

« وذلك دين القيمة » (٤) .

. . . فالآية الاولى من هاتين الآيتين تشير الى أن أهل الكتاب السابقين لم يختلفوا على بعضهم بعضا فيتجه بعضهم الى الوثنية والشرك ويقع تحت طغيان المادية ، ويبقى البعض الآخر فى دائرة الايمان الصحيح ، ولم تقم بينهم فرقة على هذا النحو فى الدين — دين الله — الا بعد ان جاءتهم الحجة برسالة رسول منهم اليهم ، توضح لهم الحق فى ذاته . بينما الآية الثانية تلخص قوام هذا الحق الذى ينحصر :

فى وحدة الألوهية : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين (فى عبادتهم اياه) له الدين (وحده لا شريك له) ،

وفى الاستقامة الناشئة عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة : « حنفاء (مستقيمن) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .

... ثم يصف القرآن الكريم ما جاء فى الآية الثانية من مجموع عبادة الله وحده ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة بأنه : « دين القيمة » أى دين الجماعة المستقيمة .

فعماد الدين اذن :

وحدة فى الالوهية تحول دون الشرك وبالتالى دون طغيان المادية ،

وروحية تتمثل فى الصلاة والزكاة ، وهى الروحية التى تدخل للمؤمن النهج المستقيم فى الحياة .

فاقتران الصلاة هنا بالزكاة لتيسير أمر الزكاة على النفس الانسانية .

واقتران الزكاة هنا أيضا بالصلاة لاضعاف الأنانية وسيطرة الاتجاه المادى فى الحياة .

وقد أوصى القرآن المؤمنين — فى معرض ما يتمناه لهم أهل الكتاب من عودتهم الى الكفر — بالثبات على أمرين :

على اقامة الصلاة ،

وعلى ايتاء الزكاة ، تاركين لهم حقدهم وحسدهم . الأمر الذى يدل على أن أداء هاتين العبادتين فى ارتباط بينهما من شأنه أن يبقى المؤمنين على تميزهم عما عداهم . يقول الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ،

« حسدا من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ،

« فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، ان الله على كل شىء قدير .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير (أى بالانفاق فيما عدا الزكاة) .

« تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير » (٥) .

... فالصلاة وحدها أو الزكاة وحدها اذن لا تبقى فى نظر القرآن على ما يتميز به المؤمنون من الايمان بالله وحده ، وعدم التبعية للاتجاه المادى وطغيانه فى حياتهم وفى مواقفهم . والاقتران بينهما هو الامارة المميزة .

وكذلك فيما وعد به المؤمنين من الاستخلاف فى الارض فى قول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،

« يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،

« واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » (٦) .

... فقد طلب منهم — لبقاء هذا الاستخلاف — اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مقترنتين لا انفصال لأحداهما عن الأخرى . وبأدائهما معا يكون هناك ضمان لوجودهم فى العبادة فى دائرة الله وحده ، لا يخرجون عنها الى ما تدفعهم اليه المادية من شرك ووثنية .

وإذ يوجه القرآن قوله تعالى :

« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفة من الذين معك ،

« والله يقدر الليل والنهار ،

« علم ان لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ،

« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله ، وآخـــرون يقاتلون فى سبيل الله ،

« فاقرءوا ما تيسر منه ،

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير .

« تجدوه عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا ،

« واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (٧) .

. . . الى الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ والمؤمنين معه فيخفف الأمر عليهم فى شغل الليل بالدعاء والتوجه الى المولى سبحانه لأسبـاب متنوعة اقتضتها حكمته جل وعلا ، ويطلب منهم أن يواظبـــوا على أداء الصلاة والزكاة والانفاق فى سبيل الله . . اذ يوجه القرآن قوله هذا الـــى الرسول والمؤمنين معه يوجهه لأمرين :

أولا : انه فى أداء الصلاة وأداء الزكاة وما بعدها من الانفاق فـــى سبيل الله ما يكفى لبقاء المؤمن بالله مؤمنا بالله ، لا تقربه الماديـــة ، ولا يحوله طغيانها الى الشرك .

وثانيا : أن السعى فى الارض ابتغاء من فضل الله هو ظاهرة طبيعية للحياة الانسانية ، كالمرض الذى يطرأ على صحة الانسان سواء بسواء .

ولولا السعى فى الأرض وتحصيل رزق الله لما كان هناك ما يقتنى من مال ، ولما كانت هناك بالتالى زكاة أو انفاق فى سبيل الله . واذن لا بد أن يشغل الانسان بالسعى لابتغاء فضل الله فيعوقه عن التفرغ للعبادة ، كما قد تشغل صحة الانسان بالمرض فلا يتمكن من أن يؤدى العبادة علـــى الوجه المطلوب .

واذ يكتفى توجيه القرآن هنا بقراءة ما تيسر من القرآن ، بجانـــب المداومة على الصلاة وايتاء الزكاة فلكى يجمـــع بين ما هو من خصيصـــة الطبيعة البشرية فى حياتها ، وما هو واجب الله من عبادة لصالح المجتمـــع الانسانى .

وآيات عديدة أخرى فى مناسبات عديدة وفى مجالات مختلفة تطلب الى المؤمنين ـــ كى يستمروا على ايمانهم ـــ اقامة الصلاة وايتاء الزكاة معا كعبادتين فيهما الضمان لتحقيق الهدف المقصود ، وفيهما العون لبعضهما البعض على انجاز كل منهما فى يسر .

أما الانفاق فى سبيل الله أو اقراض الله قرضا حسنا فهو يتبع أداء الزكاة كعبادة يتقرب بها المزكى الى الله ، كما يتبع الصلاة كعبادة يتقرب بها المصلى الى الله الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

• • •

ولأن الانفاق فى سبيل الله ـــ وراء أداء الزكاة ـــ أمر يقوى الروابط فى المجتمع ، وعامل يزيد فى صفاء النفس ، ويحول باســـتمرار دون أن

تطغى بكنز المال وجمعه . ومن ثم تتبع المادية فى اتجاهها ، كان أشبه بالزكاة فى الالتزام به . فهو قربى وعبادة ، ولكن ترك أداؤه لطواعية الذات لأداء الزكاة . أى ترك أداؤه للتأثر بفاعلية الزكاة . فالمزكى وقد سهل لديه الآن اخراج الزكاة لما فيها من قربى وعبادة الى الله يسهل عليه بعد ذلك أن يزيد فيما يخرجه ، حتى يصل الى ما هو فى حاجة اليه فقط ، وبذلك يغطى « العفو » كله .

ومن غير شك أن ما يشير اليه القرآن الكريم فى نداءاته العديدة الى المؤمنين من الانفاق فى سبيل الله لا يدخل فى معطى الزكاة الواجبة . وآية « المزمل » السابقة تقول : « فاقرأوا ما تيسر منه ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير (وهو هذا القرض الحسن) تجده عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا » .. توضح أنه الزيادة فى الاخراج من المال يعد أداء الزكاة . اذ قد أطلقت عليه قرضا حسنا ثم جعلته فى أدائه تقديم خير لمن يفعله ، لن يترك جزاؤه عند الله ، وهو أجر عظيم .

ولأنه غير الزكاة ووراءها فهو لا يتقيد بالنسب والمقادير ، ولا بأنواع المال وأصنافه التى ترتبط بها الزكاة . وتقييده فقط بدائرة تبعده عن الاكراه أو عدم الرضا ، وتقربه الى معنى المحبة وراحة النفس واطمئنانها الى مباشرته . فهو :

أولا : لا يتحدد مقداره بنسبة ولا كمية معينة : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ! كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة » (٨) . فالآية تنصح بالانفاق من المال ... الى العفو . فهناك مسافة بين المال فى كميته وما يزيد منه عن حاجة المالك له ولأسرته .

ثانيا : أنه يتحدد فى نوعه بأنه من طيبات وأحب ما يقتنى المالك فى ماله : « يا أيها الذين آمنوا : انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ، الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » (٩) . « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم » (١٠) .

ثالثا : أن يكون هناك اخلاص فى انفاقه ، أى يبتغى به المنفق وجه الله وحده : « ليس عليك هداهم ، ولكن يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (١١) . فالآية تخبر عما ينبغى فى الانفاق وهو ان يقصد به وجه الله .

رابعا : ان يبتعد فيه عن الايذاء المعنوى لمن يعطاه وعن الامتنان به عليه : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . يا أيها الذين آمنوا : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان (أى حجر صلد) عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٢) .

خامسا : ان مصرفه ليس هو مصرف الزكاة على وجه التحديد : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين ،

واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله بـــه عليم » (١٣) . فهنا اذا كان اليتامى والمساكين وابن السبيل قد نصت عليهم الآية وتشارك بذلك آية الزكاة ، فقد نصت على غيرهم مما لم تجعلهم آية الزكاة من مصارفها ، وهم : الوالدان والأقربون . وهذا يفيد أن الانفاق فى سبيل الله أريد به أن يكمل فاعلية الزكاة فى الأمة ويقوى الروابط فيها .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله من أصحاب الاموال فى الأمة يعتبره القرآن الكريم قرضا حسنا لله ــ وهو فى واقع الأمر من مال الله الـــذى استخلف عليه الانسان ــ يجازى عليه جزاء كريما فى كمه ونوعه ، كمـــا تنطق هذه الآية : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم » (١٤) .. فالقرآن الكريم ذاته يطلب الى الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينذر المؤمنين بالمبادرة بالانفاق وعدم التراخى فيه ، فيما تقوله الآية : « قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهـــم سرا وعلانية ، من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »(١٥). ويقرن طلب الانفاق سرا وعلانية . باقامة الصلاة ليؤكد أهمية الانفاق فى حياة المؤمنين ــ على نحو أهمية الصلاة فيها ــ وأنه جزء لا يتجزأ من سبيل النجــــاة والنجاح .

ثم بالاضافة الى ذلك يشدد القرآن فى الانذار ، اذ يرى فى التخلف عن الانفاق دفعا بالأنفس ــ من ذواتها وليس مـــن أجنبى عنها ــ الـــى الضعف والهلاك . وهو ضعف الأمة فى روابطها ، وهلاكها فى خصومـــة بعض أفرادها لبعض : « وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الـــى التهلكة (أى بمنع الانفاق فى سبيل الله ، لما يؤدى اليه من ضعف وغلبة للعدو) وأحسنوا (أى الى أنفسكم بالانفاق فى سبيل الله) ان الله يحب المحسنين » (١٦) .

... فتطلب الآية من جميع المؤمنين القادرين على الانفاق أن ينفقوا فى سبيل الله ، فى صيغة الأمر والوجوب ــ ولم تذكر سبيل الترغيب فى هذا الانفاق ، على نحو ما تذكر الآية الأخرى السابقة : « من ذا الـــذى يقرض الله قرضا حسنا ؟ » ــ ثم تذكر : انه ليس وراء التخلف عن الانفاق الا التهلكة ، ليس للذين لم ينفقوا وحدهم ، وانما للجميـــع : « ولا تلقـــوا بأيديكم الى التهلكة » . وكأنه ليس هناك خيار ولا وضع آخر بعد التخلف والامتناع عن الانفاق ، الا الهلاك ، والهلاك بأيدى الهالكين أنفسهم وليس بأيدى أعدائهم .

ومع ذلك فهى بعد هذا التحذير تطلب اليهم أن يحسنوا الى أنفسهم بالانفاق فى سبيل الله ، وفى الوقت نفسه اذا صنعوا ذلك أرضوا اللـــه سبحانه وتعالى : « ان الله يحب المحسنين » .

...

والمؤمنون اذن من خصائص صفاتهم : أن ينفقوا فى سبيل اللـــه ، بجانب صفات أخرى تقتضيها نتائج الايمان بالله ، وتنص عليها آيات قرآنية عديدة بما يفيد : ان المؤمنين فى واقع أمرهم هم ما على هذه الصفات . فان تخلوا عنها أو عن بعضها فأمرهم عندئذ يدور بين النفاق والكفر .

تبتدىء سورة البقرة بقول الله تعالى :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ،

« هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وممـــا

رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون»(١٧) .

. . . ففى وصف المتقين ـــ وهم المؤمنون صدقا ـــ كان الانفاق فى سبل الله ركنا أساسيا من أركان التقوى : « ومما رزقناهم ينفقون » . واكتفى هنا بالانفاق فى سبيل الله ما يدفع بالاولى على اخراج الزكاة . اذ قلما يكون هناك انفاق من منفق فى سبيل الله ، ولا يكون هناك اخراج زكاة منه . ولكن على العكس قد يكون هناك المزكى فى ماله الذى يقف بالاخراج من المال عند حد الزكاة .

وشرط أولى اذن لمن يوصف بالايمان صدقا أن يتناول ايمانه الماضى فيؤمن بما أنزل من الله قبل رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما يتناول المستقبل فيؤمن بالآخرة ، وكما يتناول الحاضر فى شهادته يتناول الغيب وهو فى حيز عدم الرؤية . وفى تطبيقه لما يؤمن به يكون مؤديا للصلاة محافظا على أدائها ، كما يكون قد بلغ فى صلته بالمال أنه ينفق طواعية من ماله فى سبيل الله ، عدا ما يتقرب به كعبادة من اخراج الزكاة .

ويزداد المؤمنون وضوحا فى صفاتهم عندما توضع صفاتهم فى مواجهة صفات الآخرين من غير المؤمنين ، مما بقوا على كفرهم وماديتهم أو تستروا وراء اعتراف ظاهر بالايمان .

وقد جاء فى سورة الفرقان ما يتلى من صفات المؤمنين فى مقابلة صفات من عداهم ، فى قوله تعالى :

١ ـــ « وعباد الرحمن :

أ ـــ « الذين يمشون على الارض هونا (أى فى غير كبرياء أو طغيان الماديين) ،

« واذا خاطبهم الجاهلون (وهم الكافرون الماديون) قالوا : سلاما (أى كانوا متسامحين : اذ لا جدوى من مناقشتهم) .

ب ـــ « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (أى مصلين) .

« والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما .

« انها ساءت مستقرا ومقاما .

جـ ـــ « والذين اذا أنفقوا (أى على أنفسهم وأهليهم) لم يسرفوا « أى لم يكونوا كأولئكم الماديين الكافرين الذين يتبعون ما أترفوا فيه) ،

« ولم يقتروا (أى لم يمسكوا ويبخلوا على أنفسهم وعلى من عداهم) وكان بين ذلك قواما .

أ ـــ « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ،

ب ـــ « ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ،

« ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ،

« ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .

« والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما .

ج «والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » (١٨) .

... فهذه الآيات جمعت ثلاثة أنواع من الصفات للمؤمنين هى :

عدم الطغيان بالمادية : « الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما » .

وقيام الصلاة : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » .

والانفاق فى سبيل الله : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » . لأن عدم مجاراة الماديين فى البذخ والترف يدل على عدم الخضوع للمادية ، وعدم التقيد فى الانفاق يزيد فى تأكيد عدم الخضوع لها . ومن لم يخضع للمادية فى اتجاهها فهو فى جانب روحية الدين . وعندئذ يزكى وينفق فى سبيل الله .

... كما جمعت هذه الآيات أيضا ثلاثة أنواع أخرى من الصفات يوصف بها الماديون الكافرون ، وبأضدادها المؤمنون بالطبع والضرورة .

الشرك بالله يوصف به الكافر المادى ، وبعدمه يوصف به المؤمن بالله : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر » .

وارتكاب الجرائم الاجتماعية من الزنا ، والسرقة والقتل يوصف بها الكافر المادى ، وبعدم ارتكابها يوصف المؤمن : « ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ... والذين لا يشهدون الزور .. » .

والاعراض عن كتاب الله ودعوة الرسول عليه الصلاة والسلام يوصف به الكافر المادى وبعدمه يوصف المؤمن : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

أما من يتستر وراء اعلان الايمان ظاهرا فأهم أمر يكشف عن طبيعته المختبئة هو مطالبته بانفاق المال أو بالخروج الى ميدان القتال . اذ أنه لا يستطيع أن ينافق هنا فى مجال التطبيق العملى ، لو استطاع فى اداء الصلاة أو الصوم .

ففى مجال طلب القتال تقول الآية الكريمة :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ! (أى هلا أنزلت سورة) :

« فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ،

« ينظرون اليك نظر المغشى عليه من « الموت » (١٩) . فهنا يبدو عليهم أثر الرعب والخوف الذى يكشف عن ايمانهم بأنه كان ايمان احتراف ومنفعة مادية ، ولم يكن ايمان تقوى ورسالة .

وفى مجال الانفاق لكشف المنافقين يقول الله تعالى فى مواجهتهم صراحة :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم (أى ولم يختبركم بعد بسؤالكم انفاق الاموال فى سبيل الله) . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج أضغانكم . ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢٠) ..

... فهو يطالبهم بالايمان والتقوى أولا — مع أنهم أعلنوا الايمان من قبل — ليوجه الى حقيقة أمرهم ، مع أن هذه الحقيقة لم يكشف عنها النقاب عيانا بعد امام المؤمنين ، عن طريق سؤالهم الانفاق فى سبيل الله والالحاح

فيه واقتران هذا السؤال والالحاح فيه بالامساك منهم والبخل واثـــارة الضغينة الكامنة فى النفس والتعبير عنها : « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكـم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج اضغانكم » . ثم يرفع النقاب عن هذه الحقيقة التى تبتعد عن الايمان بمقدار ما تقترب من الكفر ، عن توجيه طلب الانفاق فعلا فى سبيل الله اليهم لتظهر عاقبة هذا الطلب جلية واضحة ، وهى الشح الذى يدل على عدم التأثـر بالايمان بالله : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

. . .

وهكذا : اذا كانت الزكاة عبادة وقربى ، وكان الانفاق بعدها فـى سبيل الله عبادة وقربى ، فانه فى وقوعه يتأثر باخـراج الزكاة ومـدى فاعليتها فى نفس المزكى ، وكلاهما يدلان على حقيقة الايمان بالله ووزنه فى نفس من يعلنون الايمان به ، كما يدلان على التفاعل بالايمان فى نفس المزكى والمنفق .

ومن هنا كان الانفاق فى سبيل الله أمارة قاطعة على حقيقة الايمان ، كما يكون رفضه ، ورفض الزكاة قبله ، أمارة على الكفر وطغيان الاتجـاه المادى فى الحياة ، بينما أمارة النفاق فى الايمان تنصـح فى الشح فـى الانفاق فى سبيل الله بعد المطالبة به . ولا يختلف المنافق فى الايمان عن الكافر به الا فى المعارضة المختبئة وراء الشح عند المنافق ، والمعارضـة الصريحة والانكار العلنى لدى الكافر .

وفى حياة المسلمين فى تاريخهم لم يبق النداء للانفاق فى سبيل الله ـــ وراء اخراج الزكاة ـــ دعوة من القرآن الكريم لم تجد صداها فـــى التطبيق العملى . وانما اقبال المؤمنين على « الحبوس » فى سبيل الخيرات العامة التى تشمل منفعتها الكافة فى الامة يصور : أى مدى تعمق هـذا النداء وترسبت حقيقته النفسية فيهم ، بحيث أصبحوا يتنافسون فيما بينهم على « وقف » الاموال فى صورها المختلفة ، وحبس منفعتها عـلى ضرب من ضروب « البر » والخير : ان فى سبيل التعليم والدعوة الى الله ، أو فى سبيل المرضى ورعايتهم الصحية ، أو فى سبيل أصحاب الحاجة ممـن لا يملكون الوسيلة لسد حاجاتهم بأنفسهم ، أو فى سبيل قوة الامة واعدادها فى مواجهة العدو ، أو فى سبيل رعاية حجاج بيت الله فى حرمه الآمن ، بل قد تجاوزت منفعة ما حبسوه الانسان فى تعلمه وتثقيفه وصحته وســد حاجته الى الحيوان فى عدم اضطهاده وتعذيبه .

وقد بلغت رعاية الواقفين حدا لم يقفوا به عند الجانـب المادى أو الثقافى والتعليمى والصحى فحسب ، بل كان مما شملوه بمنفعة ما حبسوا من أموال أولئكم الذين يقومون بخدماتهم فى العمل المنزلى أو الخارجـى لغيرهم ، لو اتلفوا ـــ أو تلف منهم ـــ ما هو أمانة لديهم بالكسر أو بعلـة أخرى لم يتنبهوا اليها فيعرضون عما تلف لديهم حتى لا يكون هنا حرج فى علاقتهم بمن يقومون بخدمتهم ، وكذلك اللاتى لا يستطعن فى اقراضهن لفقر أيديهم اسعاد أنفسهم بلبس أثواب الزفاف أو التزين فى الاعناق والآذان بما يتزين به القادرات فى تلك المناسبة فتقدم لهن الفرصة من المنفعة العامة لما حبس من أموال ، كى لا يعدمون الفرحة فى المناسبة السارة . فراعوا

الاحاسيس الانسانية وحافظوا على الاعتبارات البشرية ، كما حافظوا على الوقاية من الجوع ، والمرض ، والجهل ، والتشرد .

وبهذا لم يبق الاسلام دعوة تجوب الخيال وتناجى من لم يسمعها فى الصحراء . وانما هو نظام لحياة الانسان يأخذ طريقه العملى فيها فى يسر ، لو توفرت فى الانسان حقيقة الايمان بالله . ومعجزة القرآن هى فى امكان الأخذ به فى كل وقت وعهد ، وفى امكان النجاح به عند اتباعه فى أى طور من أطوار البشرية .

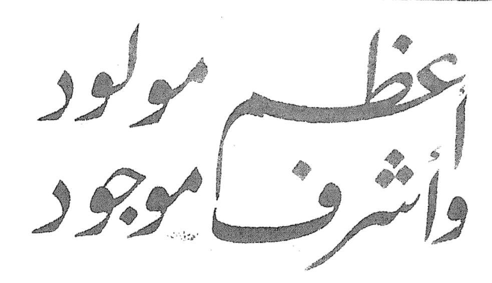
---

(١) يحاول بعض العلماء أن يحددوا لتارك الصلاة عقوبة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فى رواية ابن عمر رضى الله عنه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا ما فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، « وحسابهم على الله عز وجل » نيل الاوطار جـ ١ ص ٣١١ .

وهذه العقوبة هى المقاتلة . ولكن ظاهر الحديث : أنه فى مواجهة الذين لم يؤمنوا بعد برسالته عليه الصلاة والسلام . أما من آمن وترك الصلاة أو الزكاة بعد ذلك فهو قطعا آثم ، ولكن هل عقوبته هى المقاتلة أيضا مع بقائه على الايمان وترك الصلاة أو الزكاة ؟. أليس عندئذ يكون الوضع هو وضع مؤمن يقاتل مؤمنا ؟ وقد ورد فى هذا الشأن قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » (الحجرات ٩) ..

.. فجعلت الآية البغى والظلم من بعض المؤمنين للآخرين منهم سببا لمقاتلتهم من اخوانهم فى الايمان . واذن ليس ترك واجب من الواجبات فى نظر القرآن ما يبعث على مقاتلة تاركه .

(٢) الهمزة ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) التكاثر ١ ، ٢ .
(٤) البينة ٤ ، ٥ .
(٥) البقرة ١٠٩ ، ١١٠ .
(٦) النور ٥٥ ، ٥٦ .
(٧) المزمل ٢٠ .
(٨) البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٩) البقرة ٢٦٧ .
(١٠) آل عمران ٩٢ .
(١١) البقرة ٢٧٢ .
(١٢) البقرة ٢٦٢ — ٢٦٤ .
(١٣) البقرة ٢١٥ .
(١٤) سورة الحديد ١١ .
(١٥) ابراهيم ٣١ .
(١٦) البقرة ١٩٥ .
(١٧) البقرة ٢ — ٦ .
(١٨) الفرقان ٦٣ — ٧٣ .
(١٩) محمد ٢٠ .
(٢٠) محمد ٣٦ — ٣٨ .



للشيخ عبدالحميد السائح

اعتاد المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها أن يحتفوا بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوة بعض فصول سيرته ، واقامة الزينات والاحتفالات ..

ومع أن المسلمين فى عهد السلف الصالح لم يكونوا يحتفون بهذه الذكرى على النحو المعروف الآن فانهم كانوا أبدا يقتدون بهدى الرسول ، ويأنسون بسيرة الرسول ، ومناقب الرسول ، وأخلاق الرسول ، فكان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لهم فى سيرتهم وتصرفاتهم ، اهتداء بقول الله سبحانه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (١) وقوله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٢) ومن ثم كان المسلمون يتسابقون فى ميادين التضحية بالأنفس والأموال اقتداء بسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكانوا يتقربون الى الله بالجهاد فى سبيل الله اسوة برسول الله ..

ولذلك لم يكن عجبا أن يسارع أبو بكر رضى الله عنه الى بذل كل ماله ، وان يبادر عمر رضى الله عنه الى بذل نصف ماله ، وان يتقدم عثمان رضى الله عنه بتجهيز جيش العسرة ، يوم تبوك ..

وأن ترى بين صفوف المسلمين أولئك الاخيار الابرار ، الذين كانوا يتنافسون على دخول المعارك ، امثال على بن ابى طالب وخالد بن الوليد ، وابى عبيدة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ومن سار على

دربهم الى يومنا هذا ، مبادرة منهم للجنة التى أعدها الله للمجـاهدين والشهداء والصالحين ..

ولم يكن غريبا أن يستجيب الخليفة المعتصم لاستغاثة امرأة مسلمة، تعرضت للهوان والمذلة ، يوم عمورية ، فيقود جيشه ، انقاذا لشرفهـا وكرامتها ، عملا بقول الله سبحانه : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » (٣)

ولم يكن مستهجنا ان يخطط صلاح الدين ، ويدبر ويهيىء لمعركـة حطين ، حتى ينقذ القدس وباقى فلسطين ، من حرب جهنمية ، انتزعت الديار المقدسة والقدس الشريف من سلطان المسلمين ، وكادت تعصف بهـا الأهـواء ، وتقضى عليها الفرقة والشحناء والبغضاء ، وتصبـح كلها فى خبر كان ، يلفها النسيان ، وتطويها المظالم ، وعنجهية الجبروت والطغيان ، لولا اشعاع نور الايمان ، الذى استولى على قلب صـلاح الدين ، وهداه الى طريق النجاة والنجاح فكل ذلك قبس من سـيرة الرسول ، ونابع من تبجيل وتعظيم الرسول ، واستجابة لله والرسول ..

الا أن الغريب العجيب المستهجن ، ان نرى المسلمين الان فى مختلف ديارهم وامصارهم يسمعون فى كل يوم دفعة من دفعات المظالم ، تحل على اخوانهم فى فلسطين وغير فلسطين ، ودفقة من دفقات التحـديات للمشاعر والعواطف ، يقذف بها فى مقدساتهم ، فتنتهك حرمتها ، ويعتدى على طهرها ، مع ما يربط هذه المقدسات من روابط وثيقـة بصاحب الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى مسراه الكريم ، وموطن معراجه الشريف ، ومع هذا نزعم أننا نحتفى بذكرى مولد الرسـول ارضاء للرسول ، ونرنم القصائد ، وندبج المقالات ونوزع الحـلويات اطاعة للرسول !!!

أيها المسلمون فى المشارق والمغارب :

ان تبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب مقدس مطلوب من كل مسلم وتعظيم هذا الرسول الأكرم فريضة لازمة ، لا مناص منها ونصرة هذا الرسول الأعظم أمانة فى أعناقكم جميعا ، قال تعالى : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الـذى أنزل معه أولئك هم المفلحـون » (٤) ..

لكن ما سبيل التعظيم والتبجيل ؟

هل سبيله القيام بتظاهرات عاطفية لا تلبث أن تخبو بعد هـدوء العاصفة ، كما هو الحاصل فى المجتمعات الاسلامية ؟

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . (٥)

اذن فهذه التظاهرات ليست الدليل على قوة الايمان ، وتمـكن احترام وتوقير الرسول فى النفوس ، وانما سبيل ذلك نصرة الرسول

فى حياته ، والجهاد معه فى غزواته ، وامتثال أوامره وتوجيهاته ، أما بعد انتقاله للرفيق الأعلى فسبيل ذلك اتباع النور الذى انزل معه ، بالعمل بشريعته ، وتنفيذ سنته ، والتأسى بسيرته ، وتوفير ما يرضيه ، من اعزاز المسلمين ورفع شأنهم ، والحفاظ على كرامتهم ، وصيانة مقدساتهم وديارهم ، واعراضهم وأموالهم ، والجهاد فى سبيل المستضعفين والمعذبين والمشردين ، من الرجال والنساء والولدان ان الديار المقدسة — فلسطين — وغيرها من ديار العروبة والاسلام ، ابتليت باحتلال الصهاينة ، وعبثهم وفسادهم ، كما تعرضت فيها الاعراض لانتهاك حرماتها والعدوان على طهرها ، وتعرضت فيها المقدسات ، ومنها المسجد الاقصى المبارك — لعدوان ماحق ، ومخطط خطير ، يقضى على مسرى الرسول ومركز معراجه الشريف ..

وقد اختبرت الصهيونية حرصكم على مقدساتكم ، ومدى تأثيرها فى نفوسكم ، يوم أقدمت على احراق المسجد الاقصى المبارك ، فلم تر منكم الا اقوالا جوفاء ، ودعوات صماء ، او انهمار العيون بالدموع والبكاء ..

لكنها لم تر كتائب التحرير تتسابق ، ولا مراكب الذخائر والمعدات تسير ، تدق أبواب القدس ، والديار المغصوبة ، لانقاذها وتحريرها ، مما ادى بها الى أن تعد خطة جهنمية جديدة ، امعانا فى التحدى ، وزيادة فى الاستهتار ، وذلك لشروعها فى وضع قانون يخولها حق الحفر والتصرف ووضع اليد ، فى ساحات المسجد الاقصى المبارك — وهى جزء منه — تمهيداً لاقامة الهيكل هناك ، فهل من مدكر ؟ وهل من معتبر ؟

أيها المسلمون :

ان تبجيل الرسول فى ذكرى مولده الشريف يكون فى الاعداد والتخطيط لعمل حاسم يغسل العار ، ويسترد الشرف والكرامة ، وفى استرخاص الانفس والاموال فى سبيل ذلك كله ، وان يتقدم الحاكم والمحكوم ، والراعى والرعية والرئيس والمرءوس ، وان نضع جميعا نصب أعيننا :

قول الله سبحانه : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » (٦) ..

وقوله سبحانه : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (٧)

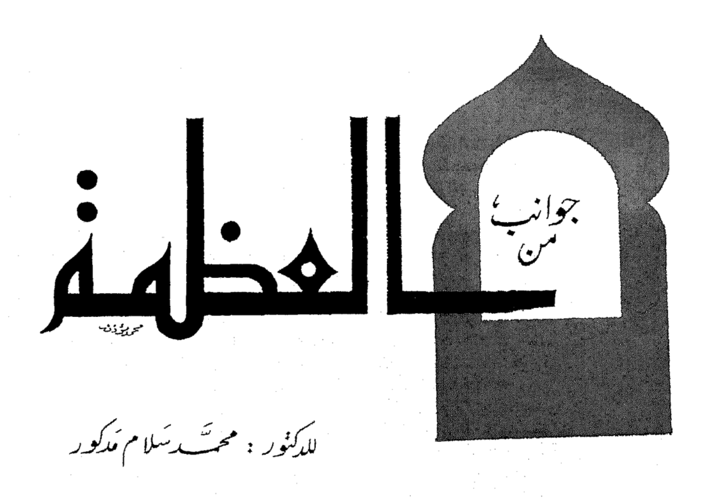
وقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : تكفل الله لمن جاهد فى سبيله ، لايخرجه الا الجهاد فى سبيله ، وتصديق كلماته ، بأن يدخله الجنة ، أو يرجعه الى مسكنه مع أجر أو غنيمة . (٨)

وقوله أيضا : لولا أن اشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت

ان اقتل فى سبيل الله ، ثم احيا ، ثم اقتل ، ثم أحيا ، ثم اقتل . (٩)
وان المشردين من أخوانكم فى المخيمات والكهوف يستنجدونكم ، والنساء والاطفال والشيوخ فى المناطق المحتلة يستغيثونكم ، والمسجد الأقصى يناشدكم ، ويطلبون الحركة والانتصار ..
وقد آن للمسلمين فى هذه الذكرى العطرة أن يستيقظوا ، ويتنبهوا للمخاطر ، ويدركوا المكائد ، التى تدبر لهم ، لزعزعة عقيدتهم ، وزلزلة ايمانهم ، والتشكيك فى قرآنهم ، ويبادروا للقيام بواجباتهم ، ويتذكروا قول الله تعالى : وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين » (١٠) ويثبتوا للعالم أجمع انهم حقيقة خير أمة اخرجت للناس ، لا تسكت على ذل أصابها ، ولا تقيم على ضيم حل بها ، والله تعالى يقول : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » (١١) .
ويقول أيضا « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (١٢) وحينئذ نكون قد أقمنا البرهان على قوة ايماننا ، وتمسكنا بمقدساتنا ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى ارسله الله رحمة للعالمين ، فأنقذ العالم من ضلالاته وويلاته ، سيبقى فى ذكرى مولده منبع الهداية والارشاد للانقاذ المستمر ، والحماية الدائمة للديار والمقدسات والعقائد والمبادىء ..
اللهم ألهم ولاة أمور المسلمين وشعوبهم رشدهم ، والرجوع الى صوابهم ، وهيىء للجميع سبيل العودة الى ما يرضى الرسول ، بطرق أبواب الجنة ، والعمل معا على الوصول الى احدى الحسنيين ، النصر او الشهادة ، وذلك هو الطريق الصحيح ، لارضاء الرسول ، واحياء ذكرى مولده الشريف صلوات الله وسلامه عليه ..

---

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٢) الآية ٢١ من سورة الاحزاب .
(٣) الآية ٧٥ من سورة النساء .
(٤) الآية ١٥٧ من سورة الاعراف
(٥) اخرجه الامام مسلم .
(٦) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(٧) الآية ١٥ من سورة الحجرات .
(٨) رواه الامام البخارى .
(٩) رواه الامام البخارى .
(١٠) الآية ١٩٥ من سورة البقرة .
(١١) الآية ١١١ من سورة الاسراء .
(١٢) الآية ٨ من سورة المنافقون .



باسم الله كتب لنفسه العزة ولرسوله والمؤمنين ، وصلوات الله وسلامه على نبى الكرامة وقائد الأحرار الى النصر المبين ، ورضوان الله على أصحابه الذين سجلوا على جبين التاريخ صفحات تتلألأ بنور البطولة والفداء وآيات الايمان واليقين ، حين أن كانت البشرية غارقة فى ظلام كثيف صفيق وظلم غليظ راسخ تتخبط فى عقائدها ، تزيف فى أفكارها ، تصطنع للظلم فلسفة وللضلال شريعة ومبادىء ، وفى وسط هذا الجو الخانق منذ أربعة عشر قرنا انبثق النور من أعماق هذه الجزيرة بمولد محمد ابن عبد الله الذى أعده الله للبشرية ليبشرهم بالحق ويهديهم الى الصراط المستقيم ، انبثق النور من أعماق الجزيرة العربية رحمة لا تعرف التفرقة بين جنس وجنس . وهدى لا يدين الا بالحق ، ولا يتعصب الا له وكانت كلمة الله هى العليا ، وكانت رسالة محمد بحق رحمة للعالمين ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

جاء محمد صلوات الله عليه يدعو الى الايمان باله واحد ويتخذ من هذا الايمان حجر الأساس للشريعة الجديدة حتى لا تتجه القلوب الا اليه ولا ترعى فى حياتها غيره ولا تبتغى المثوبة الا منه ولا تخشى فى سبيله لومة لائم .

كانت أولى خطواته الاصلاحية الدعوة الى اله واحد لا شريك له ، وذلك هو أساس دعوة الانبياء والرسل من قبله . يقول الله سبحانه ـ « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »

المحمدية

في ذكرى مولد الرسول

ويقول سبحانه « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ..

لقد اصطفاه الله من بين خلقه ليكون خاتم النبيين ، يوجه البشرية كلها الى الصراط المستقيم وشاءت حكمته جل شأنه أن يكون نبيه المصطفى قد نشأ يتيما فقيرا بعيدا عن الجاه والسلطان ، لم يعلمه بشر ، ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان وانما أدبه ربه فأحسن تأديبه وقـوم خلقه فأحسن تقويمه ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير والبـر والتعاون واستأصل من نفسه كل معانى الشر وصدق الله اذ يقـول : « ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » ..

اصطفاه ربه وطهر نفسه وعلمه وأدبه ، فكان خير تلميذ لأفضل أستاذ ، وكانت رسالته أساسها التوجيه الى العلم والخلق والكفاح فى سبيل العمل النافع ، والجهاد فى سبيل الحق ومقاومـة البغى والطغيان .

وكان المثل الأول فى مظاهر التحرر الاسلامى فهو عبد الله ورسوله القائل « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكها » وقد تبرأ أن يكون شفيعا فى تغيير منزلة فيقـول « يا فاطمة يا بنت محمد اعملى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس يا عم محمد اعمل لا أغنى عنك من الله شيئا » . وكان لذلك أثره فى نفوس صحابته والمسلمين فقويت عقيدتهم ، وازدادوا ايمانا

على ايمانهم . فكان لهم شأن وجاه لا بالمال ولا بالسلاح ولا بكثرة الأفراد وانما بما غرسته العقيدة الصادقة فى نفوسهم من قوة وصلابة فى الحق .

وفى الحق أن العقيدة دائما هى القوة التى تدفع الى العمل وتشحذ الهمم وتحول دون الانهيار والضعف .. وبهذا الايمان وحده غرس النبى فى أتباعه معانى الفضيلة فشاعت فيهم خصال الخير ، وبهذا الايمان وحده التزم المسلمون جادة الصواب يستمسكون بالفضيلة حبا فيها ويهربون من الشر بغضا فيه ، شعارهم ما علمهم اياه الرسول « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ..

ولقد كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لهم على أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة بعد أن لمسوا فيها كل الخير والسعادة وعرفوا وصف الله له بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » وقد كان ذلك الوصف الآلهى داعيا لاهتمام الصحابة وتطلعهم الى تصرف ذلك الخلق العظيم فسألوا السيدة عائشة عن خلق النبى فقالت « كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند حدوده » ولقد صدقت فيما وصفت فقد كان هذا القرآن الكريم هو رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعادى ، ولا تأخذه هوادة فى تنفيذ حكم من أحكامه .

ولقد عرف له صلوات الله عليه هذا الخلق منذ قام يدعو الى ربه وقامت رءوس الشرك تناهضه فى دعوته وتحتال لصرفه عن وجهته بالترغيب تارة والترهيب أخرى . فما أغراه ما عرضوا وما أثناه ما فعلوا ووقف فى فم الدنيا يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ومن أجل استمساكه بالحق ألغى الفوارق وحاربها وجعل معيار التفاضل التقوى والعمل النافع ، وكان يحرص على غرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه والناس جميعا ، فغضب لما استشفع أحد صحابته فى حد من حدود الله استجابة لرجاء كبار قريش وقال أيها الناس : « انما أهلك من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولما حرم الله الربا بأثر رجعى فكان أول من نفذ عليه ذلك هو عمه العباس اذ يقول : « ان أول ربا أضعه فى الجاهلية هو ربا عمى العباس » ..

وفى هذا أعظم توجيه الى تقديس خلق المساواة فى الحقوق ، وقد ترك هذا التوجيه آثارا كريمة فى نفوس أصحابه حتى أقام عمر الحد على ابنه ، ولما اعتدى ابن أحد الولاة على أحد أفراد الرعية بغير حق معتزا بأنه ابن الأكرمين . أمر عمر بن الخطاب المعتدى عليه أن يقتص لنفسه قائلا : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

وكان من أثر هذا الخلق الذى غرسه الرسول فى نفوس صحابته أن قوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الأمم المعادية واستولى على

نواصى الجبابرة حتى فتحت لهم الآفاق وانساحوا فى الأرض يبشرون بدعوة الحق فتلوذ الناس بهم وتعتصم بعدالتهم ويتسابقون الى الدخول فى دين الحق .

ولئن كانت العقيدة المحمدية تكفل للمسلمين سلامة الخلق وصدق الاخاء والجنوح الى السلم والعفو عند المقدرة ، فانها لكذلك تحيلهم الى أسود الشرى وعشاق الشهادة اذا مس حقهم بظلم أو تهددهم عدوان .

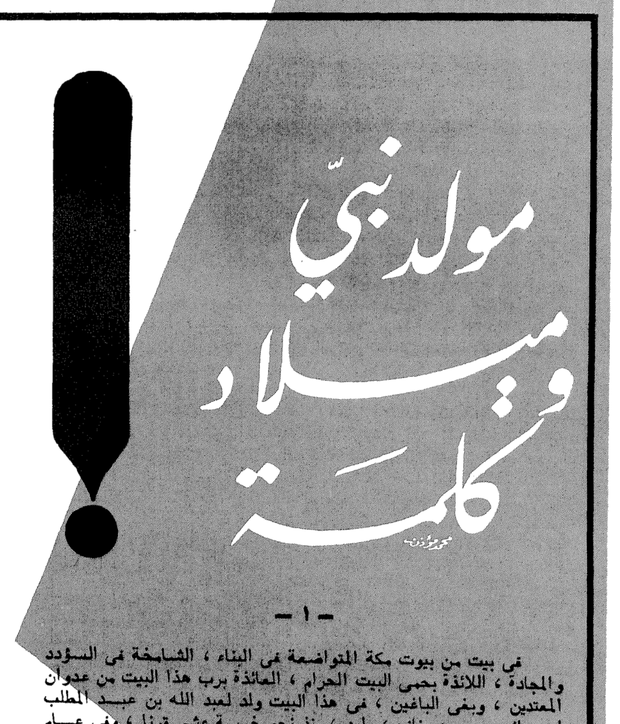
بهذا كله جاء محمد صلوات الله عليه رسول سلام ينادى به ويحرص عليه . ولكنه السلام العادل . والعدل المسالم ، فاذا ما تهدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب قائلا : قول ربه « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » .

هذا هو نبى الاسلام ، نبى السلام ونبى الجهاد ، رسول الرحمة والعدل ، ورسول رد الطغيان والظلم ، وفى ظل هذه العدالة وتحت لواء هذه القوة المنصفة يشعر كل مسلم انه عليه السلام رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، وأنه بدأ البناء على أساس من عقيدة صلبة وايمان كامل ، ثم أرسى فوق هذا الأساس صرح الأخلاق حتى فاز من ربه بما لم يفز به أحد وهو ما وصفه الله به من قوله « وانك لعلى خلق عظيم » وعلى هذا الأساس الصلب من عقيدة راسخة ، وخلق جاد مستقيم اقام محمد صلوات الله عليه دولة الاسلام قوية بالحق فياضة بالعدل محمية بسلاح الايمان .

فيا أمة الاسلام هذا نبيكم نور وهدى وعدالة وسماحة ، وبسالة وفداء ، وهذه شريعته بينكم تربطكم اليه ، توجهكم الى الخير وتدعوكم الى الكد والكفاح ، وهذه جوانب من عظمته الخلقية والانسانية تأسى بها الرعيل الأول فاستحقوا بأن يوصفوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس وانساحوا فى العالم يبشرون بسلوكهم بدعوة الاسلام فيندفع الناس اليها دفعا ، فهل لنا أن نصل حاضرنا بماضينا وأن نتأسى برسولنا الكريم كما تأسى به الأولون ، وأن نذكر الله ولا ننساه وان نعرفه وقت الرخاء حتى يعرفنا وقت الشدة .

يا أخى المسلم فى كل مكان هل لنا أن نتعرف على حقيقة واقعنا فنصلح من أنفسنا وقد حان وقت الاصلاح وأصبحنا فى حاجة ماسة الى اللجوء الى كلمة الله والاعتصام بحبله وصدق الله اذ يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

اللهم وفقنا للخير وجنبنا الزلل فى القول والعمل واهدنا الى سبيل الرشاد ، واغفر لنا واعف عنا . واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



— ١ —

فى بيت من بيوت مكة المتواضعة فى البناء ، الشامخة فى السؤدد والمجادة ، اللائذة بحمى البيت الحرام ، العائذة برب هذا البيت من عدوان المعتدين ، وبغى الباغين ، فى هذا البيت ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وليد ، منذ نحو خمسة عشر قرنا ، وفى عام كانت فيه مكة قد ولدت ميلادا جديدا فى الحياة ، هو عام الفيل ، الذى

نجى فيه الله هذا البلد الحرام من هذا الكيد الذى رماها به أبرهة ، وقد جاءها بجيش كثيف ، ممتطيا صهوة فيل ضخم ، يريد أن يهدم البيت الحرام ، ويشتت اللائذين بحماه !!

وكما كان عبد المطلب — جد هذا الوليد — هو الذى استقبل بالبيت الحرام طغيان هذا الطاغية فأراه الله فيه ، وأرى أهل مكة والعرب جميعا ، كيف تنهزم جحافل الباطل الهادرة المزمجرة ، أمام أنفاس الحق الوادعة الساكنة — كذلك كان جد هذا الوليد ، هو الذى استقبل بهذا اليتيم الذى فارق أبوه الدنيا ، وهو لا يزال جنينا فى بطن أمه ، فأرى أهل مكة ، والعرب قاطبة ، وأشهد الدنيا جميعا — أراهم وأشهدهم من هذا الوليد اليتيم الفقير كيف يصطنعه الله لدينه ، ويصنعه على عينه ، فيجعل منه شمسا لا تغيب ، ويجعل نور تلك الشمس هدى للبصائر ، وشفاء لما فى الصدور ، ونورا ورحمة للعالمين ..

وما أن تبزغ شمس هذا الوليد ، حتى يخلع الله تعالى عليه من خلع أفضاله وإحسانه ، اسم (محمد) ليكون سمة له ، وشارة دالة عليه ..

ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولأول مرة يطرق أسماعها أن من أبنائها من يسمى (محمدا) ..

ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة ، كانت تدور فى محاوراتها ، ومساجلاتها ، وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها — فإنها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها ، من أحرار أو عبيد !!

وما كان لأحد يومئذ أن يسأل جد هذا الوليد ، أو يسأل أمه آمنة ، لم اختارا لوليدهما هذا الاسم (اليتيم) الغريب فى عالم الأسماء التى تعرفها العرب ، وتتنادى بها ؟ ما كان لأحد يومئذ أن يسأل هذا السؤال ، وأن تردد فى خاطره ، وجمجم به صدره ، فما أكثر ما تلد الحياة من غرائب الأسماء ، وما أكثر ما يطلق الآباء على أبنائهم من الأسماء ما يبدو معه وكأن دنيا الأسماء قد أقفرت ، فلم يبق منها غير هذا الاسم !!

— ٢ —

وندع هذا ، لنسأل :

أهنالك علاقة بين الاسم وصاحبه ، بمعنى أن دلالة الاسم تتحقق فى المسمى ، وتفسر فى صفاته ، وتظهر فى سلوكه فى الحياة ؟

والذى يطلب الجواب عن هذا السؤال ، لا يمكن أن يقع عليه فى مقررات علمية ثابتة ، اذ لم تخضع هذه الظاهرة لدراسة علمية منظمة بعد ، وغاية ما استدل عليه الناس من وشائج القربى بين الاسم والمسمى ، انما كان عن ملاحظات شخصية ، لاحوال فردية ، تصدق أحيانا ، ولا تصدق فى كل حين ..

على أن الذى يعنى بالتعمق فى دراسة هذه الظاهرة ، ويحفل برصد النتائج التى تلوح له من خلال هذه الدراسة — يقع على كثير من عجائب الموافقات بين المسميات ، والاسماء ، وقل ألا ينكشف للمتوسم فى اسم ومسماه شىء من التوافق والتطابق بينهما ، حتى ليكاد يعد ذلك من قبيل الخطأ فى التأويل لتلك الحالات التى لا تتضح فيها علاقة بين الاسم وصاحبه ، استنادا الى تلك الحالات الكثيرة التى تبدو فيها تلك العلاقة واضحة أشد الوضوح ، بحيث لا تحتاج الى كثير من النظر والتأمل !!

ومن عجب أن نرى أن هذه الظاهرة كانت موضع دراسة ذكية واعية ، عند كثير من علمائنا السابقين ، زمانا ، وفضلا ، واحسانا .. فرضوان الله عليهم ..

يقول ابن قيم الجوزية فى هذا المقام :

(لما كانت الاسماء قوالب للمعانى ، ودالة عليها ، اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، والا يكون المعنى معها بمنزلة الاجنبى المحض ، الذى لا تعلق له بها .. فان حكمة الحكيم تأبى ذلك ، والواقع يشهد بخلافه .. بل للاسماء تأثير فى المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها ، فى الحسن والقبح ، والخفة والثقل ، واللطافة والكثافة ..

ثم يأتى ابن القيم بشواهد من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن أفعاله ، تؤيد ما ذهب اليه من وجود هذا التوافق بين الاسماء والمسميات .. فيقول :

(وكان صلى الله عليه وسلم ، يأخذ المعانى من أسمائها ، فى اليقظة والمنام ..

(فقد رأى — صلى الله عليه وسلم — فى منامه ، انه فى دار عقبة بن رافع ، فأتوا برطب من رطب طاب) — فأوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن لهم العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، وأن الدين الذى اختاره الله تعالى لهم ، قد أرطب ، وطاب) (١) ..

ثم يقول ابن القيم :

(وتأول — صلى الله عليه وسلم — سهولة أمرهم يوم الحديبية (٢) من مجىء سهيل بن عمرو(٣) اليه ، فقال لأصحابه يومئذ : (سهل الله أمركم) (٤) ..

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم ، غير اسم (عاصية) وقال : (انت جميلة) (٥) ..

كما ثبت أنه — صلوات الله وسلامه عليه — غير اسم (حزن) — وهو جد سعيد بن المسيب — وجعله (سهلا) فأبى صاحب الاسم ، وقال: السهل يوطأ ، ويمتهن ! (٦) ..

وكما غير النبى (صلوات الله وسلامه عليه — الاسماء المنكرة للاشخاص ، غير كذلك الاسماء الكريهة ، للاماكن ، فهو اذ يسمى

(حربا) (سلما) و (المضطجع) (المنبعث) ويسمى (عفرة) من الارض (خضرة) ويسمى (شعب الضلالة) (شعب الهدى) (٧) ..

ولما قدم — صلوات الله وسلامه عليه — المدينة ، وكان اسمها (يثرب) سماها (طيبة) ..

ويلفتنا ابن القيم الى شاهد من واقع الحياة ، لما بين الاسماء والمسميات من تطابق وتوافق ، فيعرض مشهدا من مشاهد القتال بين المسلمين والمشركين فى (بدر) فيقول :

(وتأمل أسماء الستة المتبارزين يوم (بدر) كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لاحوالهم يومئذ : (فكان الكفار : شيبة ، وعتبة ، والوليد. ثلاثة أسماء من الضعف .. فالوليد ، له بداية الضعف ، وشيبة ، له نهايته ، كما قال تعالى : (الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) (٨) . وعتبة ، من العتب ، اى اللوم ، فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم ، وضعف ينالهم !!

وكان أقرانهم — من المسلمين : (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) — رضى الله عنهم — ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم ، وهى العلو (فى على) والعبودية لله (فى عبيدة) والسعى الذى هو الحرث (فى الحارث) — فعلوا عليهم بعبوديتهم ، وسعيهم فى حرث الآخرة) (٩) ..

وسواء أكان هناك توافق خفى او ظاهر ، بين الاسم ومسماه ، بحيث يمثلان حقيقة واحدة ، أم لم يكن — فان الذى لا شك فيه هو ان للاسم موحيات تقع فى النفس عند ذكره ، أو سماعه .. فكلمات : النجاح ، والنصر ، والعزة ، والغنى ، والسعادة ، والشباب ، تبعث فى النفس رضا ، وتشيع فى القلب غبطة وروحا ، على خلاف اضدادها ، من : الاخفاق ، والهزيمة ، والذلة ، والفقر ، والشقاء ، والشيخوخة ، فانها تشيع فى النفس انقباضا ، وتبعث فى الصدر وحشة وكآبة !

— ٣ —

وننظر فيما كان لرسول الله — صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه — من حظ موفور فى اختيار الاسم اللائق به ، وبالرسالة التى ندبته السماء لها — فنجد فى ذلك أننا بين يدى آية من آيات الله ، وفى أضواء معجزة قاهرة متحدية ..

فلقد أعلن الله تعالى اسم هذا النبى — صلوات الله وسلامه عليه ، وبشر به فى الانجيل ، على لسان عيسى عليه السلام ، كما ينطق بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١٠) ، هكذا ينطق المسيح باسم الرسول الذى يأتى من بعده ، وانه يولد عربيا ، أميا ، يسمى (أحمد) وذلك قبل مولده بنحو ستة قرون — ومع هذا يظل هذا الاسم مرددا فى أفواه الحواريين ، وعلى السنة الأحبار والرهبان ، وفى صحف الانجيل ، وبين كثير من قبائل العرب التى دخلت فى النصرانية — من غير ان يخطر ببال أحد — على مدى هذا الزمن المتطاول — أن يسمى به ابنا من أبنائه ، خلافا لما جرت به عادة الناس ، من تهالكهم على تسمية أبنائهم بأسماء النبيين ، والقديسين ، وأهل الفضل والخير من الناس ،

عسى أن يصيبوا من بركة أصحابها شيئا ، أو أن يكون لهم من أسمهم الطيب نصيب !

واسم (أحمـــد) فى ذاته ، اسم جميل ، سمح ، حلو النغم ، عذب الجرس ، يغرى بالتسمى به ، فكيف يظل هذه القرون ، دون أن يتفق لانسان أن يقع عليه ، أو ينتفع به ؟ ان ذلك ان دل على شىء ، فانمـــا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد آثر نبيه الكريم ، بهذا الاسم الكريم ، واختصه به ، وجعله على أفواه الناس ، ارهاصا بمولد النبى الذى يحمل هذا الاسم ، دون ان يطوف أحـــد بحماه ، أو ان يتخذه ثوبا يتزيا به ، الا ان يكون ذلك على سبيل الاقتداء ، والتبرك بعد أن تزيا به النبى ! وأما (محمـــد) فهو اسم علم ، منقول من صفة .. من قولهم رجل محمد ، وهو الكثير الخصال المحمودة ، والمحمد فى لغة العرب ، من حمد حمدا بعد حمد ، مرة ، بعد مرة ..

يقول القاضى عياض :

(فهو ــ أى النبى ــ أحمـــد الحامدين ، وأحمـــد المحمودين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ، ويبعثه ربه مقاما محمودا كما وعده ، ويحمده الأولون والآخرون بشفاعته لهم ، وسمى أمته فى كتاب أنبيائه بالحمادين .. فحقيق أن يسمى (محمـــدا) و (أحمـــد) ..

(ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصـــــه ، وبدائع آياتـــه فن آخر ، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه) (١١).

وقال السهيلى : (لم يكن ــ أى النبى ــ (محمدا) حتى كـــان (أحمـــد) حمد ربه ، فنبأه ــ أى جعله نبيا ــ وشرفه ، فلذلك تقدم اسم (أحمـــد) على الاسم الذى هو (محمد) فذكره عيسى ابن مريم باســـمه (أحمـــد) (١٢) ..

ونعم ، فقد سمى الله عبده ورسوله (أحمـــد) قبل أن يولد ، وســـماه (محمدا) بعد أن ولد ، فهو الحامد لربه ، المحمود من ربه ومن خلقه .. حمد ربه على ما أفاء عليه من فضل ، وما أسبغ عليه من نعم ، وحمده ربه والناس لما جاء به من الحق ، وما هدى اليه من الايمان .. فهو حامد لله محمود ومحمد ، من الله ومن الناس ، سماه الله تعالى فى الانجيل (أحمـــد) وسماه فى القرآن (محمدا) ..

ــ ٤ ــ

وننظر فى ذات (محمد) نفسه ، وكيف كانت المحامد كلها مجتمعة اليه فى أكمل كمالاتها ، وأعدل أوضاعها ، فما كان من خلق كريم محمود فهو فى (محمد) على أوفى صورة وأتمها ، وما كان من فعل طيب جميل فهو فى (محمد) على أكمل حالة وأجملها ..

وانه ليس يجمع هذه الصفات الكريمة ، ويستولى على غاياتهـــا اسم اتم ، ولا أعدل من اسم (محمد) .. فقد يكون فى اسم : أمين ، أو صادق ، أو نبيل ، أو كريم ، أو طيب ، ونحوها ــ قد يكون فى كل اسم من هذه الاسماء وما شاكلها، ما ينبىء عن صفة أو أكثر من الصـــــفات الطيبة ، التى ان صدقها مسماها ، أو صدقت هى فى مسماها ــ كان ذلك دلالة على اتصاف صاحبها بالصفة التي يدل عليه لفظها ومنطوقها ، دون أن ينسحب ذلك الى غيرها من الصفات .. فالمسمى بالأمين ــ مثلا ــ ، ان طابق فيه الاسم المسمى ، كان نصيبه من الصفات الطيبة ، صـــــفة

الأمانة ، وقد يكون الى جانبها صفات أخرى لا تحمد ، كالجبن ، أو البخل، ونحو هذا .. وكذلك يقال فيمن يتصف بالصدق ، أو النبل ، أو الكرم ، وما شابه ذلك من صفات محمودة .. فقد ينال المرء منزلة الاتصاف بواحدة من تلك الصفات ، دون أن يكون من لوازم ذلك أن يتصف بصفة محمودة غيرها ، ودون أن يكون من لوازم ذلك أيضا ما يمنع من أن تعلق بـه صفة مذمومة أو اكثر من صفة ..

أما (المحمد) فلا يكون مستأهلا تلك الصفة ، حتى يجمع المحامد كلها ، وحتى يسلم من كل ما يعيب او يشين ، فتكون كل أقواله وأفعاله على الوجه الذى يحمده الناس ، كل الناس ، وفى جميع الاحوال ، وانه لن يكون جديرا باسم (محمد) من جمع أكثر المحامد ، ثم فاته كثير أو قليل منها ..

فماذا نقول بعد هذا فى هذا التوافق التام ، وذلك التطابق المحكم بين (محمد) الذات ، رسول الله ، و (محمد) الاسم عبد الله ، ورسول الله ؟ ..

قد يقول قائل : وماذا فى هذا التوافق وذلك التطابق ؟ ولم لا تكون الصدفة وحدها هى التى جمعت بين هذا الوليد اليتيم ، وبين هذا الاسم (محمد) حتى اذا تألق محمد ، وعلا ذكره فى الوجود ، كان كل شىء فيه ، وكل حدث منه ، ذا شأن اى شأن ، له تقدير وحساب ، تكثر دلالاته وتعود مفاهيمه ، ما دام قد اتصل بالنبى ، ولابس حياته ؟ اليس ذلك هو حساب الاشياء ، تتغير وجوهها ، وتثقل أو تخف موازينها ، حسب من تضاف اليه ، وتنتسب له ؟ فالكلمة مثلا ينطق بها انسان من الناس فتهتز لها الدنيا ، وتخفق أو ترجف منها المشارق والمغارب ، والكلمة ذاتها ينطق بها الناطقون هنا وهناك ، فلا يستمع اليها احد ، ولا يحفل بها انسان .. اليس هذا من ذاك سواء بسواء ؟

ونقول ، ان فى ظاهر هذا القول شيئا من الحق .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه ، فيما هو من شأن النبى ، وفيما يتصل به من قريب الامور وبعيدها ..

وحقا ان عظمة العظيم تلقى على كل شىء اتصل به ، من أقوال وأفعال ، الوانا وظلالا تجعل له فى مشاعر الناس ، وفى تصوراتهم مكانا غير مكانه الذى له عند عامة الناس ، فيبدو صغير أمره كبيرا ، وقليله كثيرا ، وقريبه بعيدا .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه ــ كما قلنا ــ اذ أن هناك فى حياة العظماء الموهوبين أمورا هى فى ذاتها عظيمة ، رائعة ، معجبة ، مذهلة ، سواء نظر اليها من خلال اربابها ، أو بمنقطع عن النظر اليهم !!

ونحن هنا اذ ننظر فى تسمية (محمد) باسم محمد ، بعيدا عن جلال النبوة وعظمة النبى ، نجد أن هذه التسمية لا يمكن أبدا أن تكون وليدة الصدفة ، وانما كانت نعمة من نعم الله ، وفضلا عظيما منه سبحانه باصطفاء هذا الوليد اليتيم لهذا الاسم المبارك ، كما اصطفاه ربه بعد ذلك للنبوة ، واختصه بالرسالة الخاتمة ..

وقد أشرنا من قبل الي أن هذا الاسم المبارك لم يتسم به أحد قبل رسول الله .. فمن أين اذن لجده عبد المطلب أو لأمه آمنة ، النظر الي هذا الاسم ، واختياره لهذا الوليد ؟

ثم انه لو فرض ان اسم (محمد) كان من الاسماء المعروفة الشائعة فى العرب يومئذ ، فان الاتجاه اليه لم يكن من الامور المنتظرة فى شأن هذا الوليد الهاشمى ، القرشى .. اذ أن ضخامة الاسماء فى لفظها ، وفى مدلولها ، كان لها الشأن الغالب فى تسمية المولودين من أشراف قريش ، مثل حنظلة ، ومرة ، وأسد ، وفهر ، وغالب ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، وعبد اللات ، وعبد مناة ، وما أشبه ذلك مما كان يتسمى به أجداد هذا الوليد ، وآباؤه ، وعمومته ، وأبناء عمومته ، وخئولته ..

فكيف تنفذ الصدفة من هذه الحوائل جميعها ، ثم تحمل الى هذا الوليد اليتيم هذا الاسم الفريد اليتيم ، من بين العديد من الاسماء المنصوبة فى قائمة أشراف العرب وأبطالها ؟

ثم كيف تظل الصدفة هذا الزمن الطويل ـ والصدفة لحظة عابرة ، تجىء خلسة وتذهب خلسة ـ كيف تظل هذا الزمن الطويل محتفظة للنبى بهذا الاسم الذى سمى به ، دون ان يزحزحه عن مكانه لقب او كنية؟ وما أكثر ما هناك من ألقاب وكنى ، وانه قل أن يكون فى العرب من لا يكون له لقب أو كنية ، أو لقب وكنية معا ، أو عدة ألقاب وكنى ، تغلب على اسمه ، فلا يكاد يذكر به ، أو لا يكاد يعرفه أحد ؟!

كيف يظل (محمد) هو (محمد) ، لا لقب ، ولا كنية ، حتى يكون هو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذى يكنى نفسه (أبا القاسم) بعد أن ولد له مولوده (القاسم) .. والقاسم ـ كما نعلم ـ صفة من صفات النبى ، لانه قاسم فى الناس هذا الرزق العظيم من الهدى والرحمة ، فيما تلقى من آيات الله ، فكان لكل من آمن بالله حظه المقدور ، والمقسوم له من هذا الرزق الطيب المبارك ؟

كيف يكون للصدفة هذا التصرف المتمكن من الاحداث ، الممتد مع الزمن ، الجارى على الحكمة والمنطق ؟ كيف وشأن الصدفة أن تكون خلسة خاطفة ، وأن تجىء على غير حساب وتقدير .. هكذا .. خبط عشواء .. ؟

ان يكن ذلك شأن الصدفة ، فماذا تركت للحكمة والتدبير ؟ وأين تكون مواقع أفضال الله ، ومنازل رحمته ؟ وأين تتجلى آيات تدبيره ، وحكمته فيمن يصطفى ويختار من عباده ؟

وأكثر من هذا .. فان الفرعين الزكيين اللذين ولدا (محمدا) قد أراد الله تعالى لهما اسمين كريمين ، يليقان بهذا النبى العظيم الذى سينسب اليهما !!

فأبوه عبد الله ، وقليل جدا فى العرب ـ قبل الاسلام ـ من تسمى به ، فما عرف العرب لأجيال متعاقبة ـ قبل البعثة النبوية ـ هذه العبودية الخالصة لله ، حتى عند من عرف منهم أن لهذا الوجود الها واحدا ، هو الله ، بل كانت عبوديتهم هى لتلك الاصنام التى عبدوها من دون الله ، فأضافوا أنفسهم اليها ، وسموا : عبد العزى ، وعبد اللات ، وعبد ود ، وعبد مناة .. وقد كان أقرب شىء الى عبد المطلب اذا أضاف ابنه (عبد الله) هذا ، الى معبود ، أن يضيفه الى صنم من تلك الاصنام المعبودة .. أما أن يضيفه الى (الله) فذلك أمر لا يعلم تأويله الا الله !!

أفهذا من قبيل الصدفة أيضا ؟

وأكثر من هذا أيضا .. آمنة بنت وهب ، هى أم هذا الوليد ..

فلم تكن عفراء ، أو خنساء ، أو سودة ، أو أم الهيثم مثلا ، كما كان ذلك وما أشبهه من الاسماء الشائعة فى نساء العرب ..

ولا يقف الامر عند هذا ، فهناك سلسلة طويلة لا تنتهى من هـذه الموافقات التى احتشدت بين يدى النبى ومن خلفه ، فى هـذا الامر ، العرضى ، أو كالعرضى فى حياة الرسول ..

فالمرضعة التى أرضعت هذا الوليد ، هى (حليمة) والقبيلة التى شهدت مطالع طفولته هى قبيلة (بنى سعد) !!

ومن عجب — ولا عجب فى مقام النبوة — أن تكون هذه الاسماء : عبد الله ، وآمنة ، وحليمة ، وبنو سعد — أن تكون غير شائعة ، ولا غالبة ، ثم يجتمعن جميعا على نسق ، كما تنتظم حبات الجوهر الكريـم فى عقد !!

فالعبودية لله من (عبد الله) والأمن للناس من (آمنة بنت وهب) والهبة للانسانية ، من (وهب) والحلم فى التربية ، من (حليمـة) ، والسعد للمؤمنين ، من بنى سعد — كل اولئك مما تدثر به هذا الوليد ، ظاهرا وباطنا ، صفة وذاتا ، اسما ومسمى ، فكانت جميعها ينابيـع هدى ورحمة ، وغيوث خير وبركة ، أقامت وجوه الناس على عبـودية خالصة لله ، وملأت قلوب المؤمنين طمأنينة وأمنا ، عطاء من غير من ولا أذى ، واحسانا لا يغيض ، ولا ينقطع ، فمن اتصل به ، واخذ بحظه منه ، فهو من أهل السعد والسعادة ، فى الدنيا والآخرة جميعا !!

— ٥ —

نحن الى هنا ، ما زلنا بعيدين عن مواقع النبوة ، وعن النظر اليها فى فلكها الذى تتحرك فيه على طريق الدعوة الى الله ، وان كنا نشيم بروقها ، ونتنسم أرواح نفحاتها الزكية ، ونتنشق أنسام ريحها العطر .. فكيف بنا نحن اذا قاربنا حمى النبوة ، أو نزلنا بساحة أنوارها وجلالها ؟ تلك سماء تتملاها الانظار ، ولا تطول نجومها الاقدار . واذن فمن بعيد — مرة اخرى — نقف موقف الطائفين حـول هذا الحمى الجليـل المهيب ، لا نجاوزه الى حيث تسطع أنوار النبوة ، وحيث تتنزل آيات الله على النبى ، وحيث يشهد الوجود هذه المعجزات تتحدى الانس والجن ، وتبهر الصديق والعدو ، فتعنو لها الجباه ، وتذل بين يدى جلالها وجوه المعاندين والمتكبرين ..

فهذا داعية أمى .. ما قرأ كتابا ، ولا خط بيمينه سطرا !

وهؤلاء قوم أميون .. اعراب بادية ، ورعاة ابل وشـاء ..

وهذا موطن قفر جديب ، لا يمسك ماء . ولا يخرج حبا ولا ثمرا ..

فماذا يقع فى حسابك من دعوة هذا الداعى الأمى ، فى هذا الموطن الجديب ، مع هؤلاء البدو الجفاة ؟ ولا تنظر فى حسابك هذا ، الى أن الداعى هو (محمد) ولا أن الموطن هو الجزيرة العربية ، ولا أن القوم هم أمة العرب .. واقم نظرك هنا الى أية داعية أمى ، فى اى بلد قفر ، فى أى مجتمع يعيش عيش البداوة ، ويحيا حياة الصحراء ..

ثم ارجع البصر كرتين ، وقدر لهذه الدعوة أقصى ما يمكن أن يكـون لها من ثمر ، وما تؤتيه من اكل .. افيخرج بك هذا التقدير لهـــذه الدعوة — فى أحسن أحوالها — عن أن تكون نسمة بليلة هبت فى أعقاب يوم طويل من أيام السموم ، فاستروحت بها النفوس ساعة ، ثم ذهبت

وذهب ريحها ، ليستقبل الناس بعدها ما ألفوا من أنفاس الصحراء الملتهبة ، وما يشوى الوجوه من شهيقها وزفيرها !!

أو أيجاوز بك التقدير لهذه الدعوة عن أن تكون نغما شجيا ، أو حداء عبقريا يسرى فى وحشة الليل ، ثم لا يلبث أن يذوب ويغرق فى هذا السكون المطبق العميق ؟ أو أن يكون دوحة ظلية ، ينـزل بها السفر المتعبون ساعة من نهار ، يتقون بها لفح الهاجرة ، ووهج الهجير ، ثم يتركونها ليواصلوا مسيرتهم تحت ضربات الشمس ، ولفحات السموم ؟

انه لا يكون لهذا الداعى فى هذه الاحوال ، وفى تلك المواطن ، الا هذا الاثر المحدود الموقوت ، الذى يلمع كما يلمع البرق ، فى سواد ليل حالك ثم ينطفىء فى فحمة هذا الليل ، ويغيب فى ظلامه المتراكم !!

أرأيت الى الشعراء ، والخطباء ، والحكماء ، والابطال ، وكل ما اخرجت البوادى والصحارى من رجال وأعمال .. فماذا بقى فى هذه المواطن من آثارهم ؟ وماذا خلد فى الحياة من اعمالهم ؟ انها مجرد ذكريات عابرة ، لا تلبث أن تبهت الوانها الصارخة ، ويذهب بريقها الذى خطف الابصار فى يومها الذى ليس له غد !

— ٦ —

ولكن الامر يختلف أشد الاختلاف ، ومحصل النظر يجىء بما لم يقع فى التقدير والحسبان ، حين يستقبل الانسان بنظره مطلع النبى العربى ، فى الامة العربية ، فى الصحراء العربية ..

هنالك نجد الداعى الأمى على غير ما عرفت الحياة من دعاة أميين ، وفلاسفة ، وحكماء ومصلحين ..

وهنالك نجد الصحراء ، وساكنى الصحراء ، على غير مألوف الحياة فى الصحارى ، وفى ساكنى الصحارى .. فى قديم الزمن وحديثه على السواء ..

ومن هنا كان هذا (المحصول) الموفور من معطيات الخير وثمراته، فيما غرس الداعى من غراس ، وفيما أخرجت الارض من طيبات ، وفيما حصل الناس من رزق ، وفيما بلغوا من كمال فى منازل الانسانية ، كانوا به ، كما وصفهم الله تعالى : (خير أمة أخرجت للناس) ..

اننا هنا بين يدى آيات بينات ، ومعجزات قاهرات ، وفى مواجهة أحداث خطيرة مثيرة ، وانقلاب شامل فى ماديات الحياة ومعنوياتها ، يعتدل به ميزان الوجود الانسانى على هذا الكوكب ، الذى كان قد اختل ميزانه ، واضطربت سفينته ، وكادت تغرق فى متلاطم الامواج ..

نبى أمى ، وقوم أميون ، وأرض جديب ، وحياة غليظة جافية متجهمة .. ثم مع هذا فانه من كل هذه (الأميات) ، مجتمعات ، تلد الحياة أكرم مواليدها ، وتخرج الارض أطيب ثمراتها ، فتتفجر ينابيع الحكمة من فم هذا النبى الأمى ، ثم تقع هذه الحكمة فى عقول هؤلاء الاميين وفى قلوبهم موقع الماء الغدق فى الارض القفر ، فاذا الناس غير الناس ، واذا الحياة غير الحياة ، واذا أعراب البادية ، ورعاة الابل ، شامة فى الناس ، وأساتذة فى العلم ، وساسة فى الحكم وفى تربية الامم ، وقيادة الشعوب، واذا هذا البلد القفر مطلع النور ، ومشرق الهدي ، ومهوى الافئدة ، وقبلة أنظار العالم من عدو وصديق ..

لقد كان التقاء هذا النبي الامي بقومه الاميين ، وفي موطنهم (الامي)

ـــ كان هذا اللقاء مقدورا بقدر ، موقوتا بميقات ، لتتجلى منه آيات الله، ولتستبين به حكمته ، ولتكون منه للمتوسمين عبرة وعظة ، فيما يقضى به فى خلقه ، وفيما يختص به من يشاء من فضله ، من أفراد وأمم ، ومن ديار وأوطان ، وعز وصدق من قائل : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ..

ـــ ٧ ـــ

ولا أحسب أن هذا الحديث عن النبى ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ يرضى كثيرا من هؤلاء الذين قرءوا كتب السيرة النبوية ، وماتحدث به من عجائب الاحاديث وغرائبها ، ومن تروى من تلك الاحداث والمعجزات التى سايرت موكب المولد النبوى ، واحتشدت من بين يديه ومن خلفه ـــ لا احسب أن أحدا ممن اعتاد أن يغــذى عاطفتــه الدينية من تلك الاحاديث وهذه الاخبار ـــ لا أحسبه يقيم وزنا لهذه اللمحات التى قبسناها من أضواء النبوة الى جانب هذه البروق اللامعة الخاطفة التى تمج بها كتب السيرة ، وقد حملت من كل عجيب وغريب !

ولا بأس من أن نعرض هنا بعضا مما تحدث به كتب السيرة فى هذا المقام ، وهو قليل من كثير ، لتكون موضع نظر أولى النظر ..

فقد روى ابن هشام ـــ صاحب السيرة ـــ عن ابن اسحق ، ان آمنة حين حملت بوليدها ، رأت أنه خرج منها نور رأت به قصورى بصرى من أرض الشــام ..

ثم يعلق على هذا الخبر بقوله : (قد تواترت الاخبــار الصحيحة بذلك !!) (١٣) ..

ويروى (شهاب الدين الدينورى) فى كتابه (نهاية الأرب) فيقول :

(وحكى الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى فى كتابه (الاعلام) عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أنه قال : (كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان كل دابة نطقت تلك الليلة ، وقالت : حمل بمحمد ورب الكعبة ، وهو امام الدنيا وسراج أهلها، ولم تبق كاهنة فى قريش ، ولا فى قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها ، وانتزع علم الكهنــة منهم (!!) ولم يبــق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا .. واصبح كل ملك اخرس لا ينطق يوم ذاك ، وفرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهــل البحار (!!) صار يبشر بعضهم بعضا .. وله ـــ اى للنبى ـــ فى كل شهر من شهوره ـــ أى شهور حمله ـــ نداء فى الارض ، ونداء فى السماء: أن أبشروا ، فقد آن لأبى القاسم أن يخــرج الى الارض ميمــونا مباركا ..) !! (١٤)

وفى السيرة الحلبية ، عن آمنة ، قالت : لما ولدت محمدا ، ثـم خرج من بطنى ، نظرت اليه ، فاذا هــو ســاجد لله عز وجل ، رافع يديه الى السماء ، كالمتضرع المبتهل ، ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت تنزل من السماء حتى غشيته ، فغيبته عن عينى برهة ، فسمعت قــائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارق الارض ومغاربها ، وادخلوه البحار كلهـا ليعرفنه جميع الخلائق كلها باسمه وصفته ، ويعرفوا بركته ، انه حبيب لى ، لا يبقى شىء من الشرك الا ذهب به (!!) .. قالت آمنة : ثم انجلت عنى فى أسرع من طرفة عين ، فاذا انا به مدرج فى ثوب أبيض اشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ

الرطب الابيض ، واذا قائل يقول : قد قبض محمد مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة) (١٥) ..

ولا نستكثر من عرض مثل هذه المقولات التى خلطت الحق بالباطل، وجمعت بين اللباب والقشر ، ونظمت عقد السيرة النبوية من جواهر وحصى حتى لقد خرج الامر عن حدود العقل ، وجاوز موازين المنطق ، بهـذا الجمع بين التناقضات ، حيث تلتقى الحكمة مع السذاجة ، والجلال المهيب، مع التهريج الغبى ، وحيث اتسعت من ذلك مداخل الذين يتربصون بالاسلام ويكيدون له ، فاستكثروا من هذه المبالغات الساذجة المفضوحة ، يلقـون بها فى حمى النبوة ، وبين آياتها البينة ، فلا يدرى الناس ماذا يأخذون من السيرة النبوية الكريمة ، أو يدعون ، بل ان هذا الزيف من تلك الاخبار قد خدع العامة ببريقه ، فأقاموا أبصارهم عليه ، دون أن يلتفتوا الى ما بين أيديهم من آيات النبوة ، فى جلالها ووقارها .. وهكذا يروج النقـد الزائف ، ويكثر تداوله .. حتى اذا استقبل المسلمون مولد النبى ، محتفين بهذا اليوم العظيم ، ومستقبلين مواطر النفحات والرحمات من تلقائه ، كان اكثر زادهم فى هذا المقام الكريم ، هو معاطاة هذه المقولات الساذجة الزائفة ، وادارة كئوس شرابها الآسن بغير حساب فى حلقات الذكر ، ومجامع الذاكرين ، وسرعان ما تغيب عقول القوم ، فى (الحضرة) فلا يدرون ما يدار عليهم فى الكئوس ، وقد دارت من القوم الرءوس !!

والذى نريد أن نقرره هنا ، هو أن معجزة النبى الخالدة خلود الزمن، الباقية بقاء الابد ، الثابتة ثبات النجوم فى ابراجها ، المشرقة اشراق الشمس فى ضحاها — هذه المعجزة هى القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين على قلب النبى صلوات الله وسلامه عليه — وبهذه المعجزة أعجز العالمين ، وبهذه المعجـزة أخرج فى الوجـود خير أمـة أخرجـت للنـاس !

فليقل القائلون فى النبى ما شاءوا من قصـيد المدح والثناء ، ولينظموا له ما وسعهم الخيال من غرائب الاحداث ، وعجـائب الاساطير — فان ذلك كله ومثله معه ، اذا وضع فى ميزان النبوة ، لن يتأثر به هذا الميزان ، ولن يتحرك (مؤشره) قيد أنملة . صعودا أو هبوطا .. فمقام الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — جل عن أن يتأثر بشىء من هذا ، فقد رفعه ربه فوق كل مقام ، وأعلى منزلته فوق كل منزلة ، اذ يخاطبه ربه بقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فبهذا العطاء الموعود من رب العالمين لم يبق للنبى شىء يعطاه من أفواه المحبين المادحين ، فضلا عن أفواه الاغرار المغترين ..

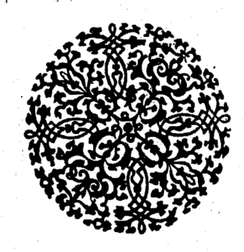
فلنقتصد اذن قدر ما نستطيع من ادارة مثل هذه المقولات ، والمرويات ومن تعطير سيرة النبى بها — كما يقال — فان من الجور على جـلال النبوة وعظمتها ، أن يطلق فى سمائها القدسى مثل هذا (البخور) الذى لا يجاوز مواقع مطلقيه .. ان ذلك اشبه بمن يضىء شمعة ، يمد بها يده الى الشمس المتألقة فى كبد السماء ليزيدها ضياء الى ضياء ، ونورا الى نـور ..

وحسبنا فى هذا المقام ، مقام ذكرى المولد العظيم — أن نطالع وجه النبى فى كتاب الله ، وأن نتذاكر ذكره فى آيات الله .. فالقرآن الكريم هو سيرة الرسول ، وآيات القرآن الكريم هو آيات الرسول ومعجزاته.

فمن أراد أن يشهد النبى فى أعلى مقام ، وأكمل كمال ، فليقف بين يدى آيات الله وقوف متأمل فيها ، دارس لها ، قاطف من جناها ، طاعم من ثمرها ، مهتد بهديها ، مستقيم على طريقها .. فذلك هو الطـريق القاصد الى الله ، والموصول بأنوار رسول الله .. (ومن لم يجعل الله له نـورا فماله من نور) (١٦) ..

فيا أمة محمد ، ويا أحباب محمد ، أحيوا ذكرى محمد ، ومولد محمد، وسيرة محمد ، بالحياة مع الكتاب المنزل على محمد ، كلمات متلوة فى آيات الله ، وآيات مشهودة فى رسول الله ، الذى تحدث السيدة عائشة رضى الله عنها ، وقد سئلت عنه ، فتقول : (كان خلقه القرآن) ..

فما أصفى القرآن موردا نرد منه على رسول الله ، وما أصـدق القرآن حديثا يحدثنا به الله ، عن رسول الله .. (ان هذا لهو القصص الحق ، وما من اله الا الله ، وان الله لهو العزيز الحكيم) (١٧) ..



---

(١) تاول الرسول الكريم ، (عقبة) بالعاقبة ، و (رافع) بالرفعة ، وجعل العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، لأن عقبة جاء لفظه قبل رافع ، وكذلك الدنيا ، فانهـا تجىء بعد الآخرة .

(٢) الحديبية .

(٣) سهيل بن عمرو ، هو الذى ندبته قريش ليلقى النبى ، وهو على رأس جيش المسلمين فى الحديبية ، وهو الذى أمضى صلح الحديبية مع النبى ، ممثلا لقريش ..

(٤) لقد كان صلح الحديبية فتحا ونصرا لرسول الله وللمؤمنين ، وان كان قد بدا فى ظاهره يومئذ غلبة لقريش ، التى صدت النبى والمؤمنين عن دخول مكة ، والطواف بالبيت الحرام ، وفي أعقاب هذا الصلح تنزلت على رسول الله (سورة الفتح) ومفتتحها :

(انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمتـه عليك ويهديك صراطا مستقيما) .

(٥) صحيح مسلم (٦) صحيح البخارى ، وسنن ابى داود (٧) سنن ابى داود

(٨) سورة الروم : آية / ٥٤ (٩) زاد المعاد ، لابن القيم جزء ٢ ص ١٩ (١٠) سورة الصف : آية / ٦ (١١) الشفاء للقاضى عياض جزء / ١ ص / ١٩٠ (١٢) الروض الأنف للسهيلي جزء / ١ ص ١٥٦ (١٣) السيرة ، لابن هشام ، جزء / ١ ص/٦٢

(١٤) نهاية الأرب جزء / ٦ ص / ٦١ (١٥) السيرة الحلبية جزء / ١ ص / ٥٤

(١٦) سورة الروم : آية / ٤١ (١٧) سورة آل عمران : آية / ٦٢ .



— ١ —

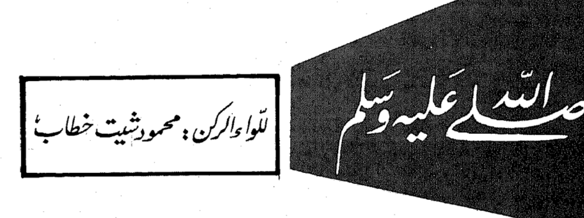
ما احوج العرب والمسلمين اليوم ، الى الاقتداء بشجاعة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، والارض المقدسة والقدس الشريف والضفة الغربية وقطاع (غــزة) وســيناء والهضبة السورية تئن تحت وطــاة الاحتلال الاسرائيلى ، وبلادهم من النيل الى الفرات مهددة بالتوسع الصهيوني الاستيطاني ، حتى يخاطبوا اسرائيل باللغة الوحيدة التي تفهمها وترضخ لها ، وحتى يستعيدوا حقوقهم المغتصبة ويفرضوا السلام في ارض السلام ..

وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، تقدم نماذج رائعــة فذة ، تبرز بها شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام السلام والحرب على حــد ســواء ..

كانت رجولته النادرة تملأ الأعين قدرا وجلالا ، وكان فى الســلم

(رجـــلا) يوحد من أجل الجهاد ، وكان فى الحرب (رجـــلا) يجاهد من أجل التوحيد ، وكانت حياته المباركة منذ مبعثه الى التحاقه بالرفيق الأعلى توحيدا من أجل الجهاد وجهادا من أجل التوحيد ، وكان بعض آثار جهاده وتوحيده جمع شتات العرب فى شبه الجزيرة العربية تحت لـــواء الاسلام ..

ولست بصدد ذكر أمثلة من شجاعته فى أيام السلام ، لاننى أحب أن يقتصر حديثى على شجاعته فى أيام الحرب ، لان العرب والمسلمين يعانون فى هذه الايام العصيبة من حرب فرضت عليهم فرضا ، فهم أحوج ما يكونون الى تدارس شجاعته العسكرية ، لتكون أسوتهم الحســـنة



فى حاضرهم ومستقبلهم ، وليقتنوا أعماله البطولية فى ميدان القتال ..

ولكننى استأذن القراء بذكر مثال واحد دليلا على شجاعته فى أيام السلام ، ما قرأته فى السيرة النبوية العطرة الا وهتفت من صـــميم قلبى : ما أعظم شجاعتك يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأزكى الســـلام !!

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : (حضرتهم (١)، وقد اجتمع أشرافهم يوما بالحجر (٢) ، فذكروا رســـول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ــ لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ! أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح (٤) ! .. فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى ان أشـــدهم فيه وصاة (٥) قبل ذلك ليرفؤه (٦) بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه

ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا !! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتي اذا كان الغد اجتمعوا فى (الحجر) وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ! ... (٧)

كان ذلك أيام ضعف المسلمين ، قبل الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وقبل اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم ..

وهذا يدل على تحد شديد لقريش ، وعلى شجاعة مذهلة حقا ..

— ٢ —

ولكن ما نحتاج اليه اليوم ، هو التذكير بشجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام الحرب ، حتى تكون نبراسا للعرب والمسلمين قادة وجنودا وحكاما ومحكومين وحكومات وشعوبا ..

ان من أهم صفات القائد بخاصة والجندى بعامة ، هو التحلى بالشجاعة الشخصية ..

والقائد الذى لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر أبدا ، لان جنوده لا يثقون به ، ولانه لا يستطيع أن يكون مثالا شخصيا لرجاله فى الاقدام والتضحية ، ولانه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر أتباعه بأرواحهم ..

والقائد الشجاع يتبعه رجاله الى الموت ، والقائد الجبان يسبقه جنوده الى النجاة ..

والشجاع يربى الشجعان ، وخصلة الشجاعة تنتقل منه الى اتباعه بالعدوى ، وفاقد الشىء لا يعطيه ..

لقد برزت شجاعة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام فى غزواته كلها بشكل يبهر العقول والقلوب معا ، ويدعو الى أعظم الاعجاب والتقدير ..

ان (قراره) بقبول خوض غزوة (بدر) الكبرى ، وهى أول غزوة خاضها المسلمون ، شجاعة نادرة فذة ، لان تعداد المسلمين يبلغ ثلث تعداد المشركين ، ولان المشركين كانوا متفوقين على المسلمين بالتسليح والقضايا الادارية ..

فقد بلغت قوة المسلمين فى (بدر) ثلاثمائة وخمسة رجال من المهاجرين والانصار (٨) ، وبلغت قوة المشركين تسعمائة وخمسين رجلا ..

وكان مع المسلمين فرسان فقط وسبعون بعيرا ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم ..

وكان المسلمون فقراء يفتقرون الى الطعام ، وكان المشركون أغنياء ينحرون كل يوم تسعة من الابل أو عشرة لطعامهم ، بينما يكتفى المسلمون غالبا بالتمر والسويق (٩) ..

وكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام يدرك كل الادراك خطورة الاشتباك بالمشركين ، لان اندحار المسلمين في هذه الغزوة الحاسمة قد يؤدي الي القضاء المبرم علي مستقبل الإسلام . لذلك ابتهل

الى الله سبحانه وتعالى فى دعائه قبل نشوب القتال وفى اثنائه قائلا : (اللهم هذه قريش ، قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم ، فنصرك الذى وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ..

وحين اشتد أوار القتال ، نزل الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال ، فلم يكن أحد من المسلمين اقرب منه الى العدو . قال على بن ابى طالب رضى الله عنه : (لما كان يوم (بدر) ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اشد الناس بأسا ، وما كان احد أقرب الى المشركين منه) (١٠) ..

وقال الامام على رضى الله عنه : (انا كنا اذا اشتد الخطب (١١) واحمرت الحدق (١٢) ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رايتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا الى العدو) (١٣) ..

— ٣ —

وكانت قوة المسلمين فى (أحد) ستمائة وخمسين راجلا وخمسين فارسا ، وكانت قوة المشركين ثلاثة آلاف راجل وفارس ..

وقد أعد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خطة تعبوية لخوض غزوة (أحد) ، قادت المسلمين الى النصر فى المرحلة الاولى من المعركة ، حتى انهزم المشركون وتكبدوا خسائر فادحة ..

ولكن (الرماة) الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يبرحوا أماكنهم ولو رأوه وأصحابه يقتلون ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق أكثرهم لجمع الغنائم من معسكر المشركين ظنا منهم بأن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين ..

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، فهاجم مواضع رماة المسلمين ، وضرب المسلمين من الخلف ، وطوقهم . فلما رأى المشركون ذلك ، قاموا بهجوم مضاد على المسلمين ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب ، وأصبح مصيرهم مهددا بالفناء ..

ولجأ أكثر المسلمين الى جبل (احد) ، وثبت مع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار (١٤) يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بين قوات المشركين التى أطبقت عليهم من كل جانب . واستطاع المشركون أن يصلوا قريبا من موضع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرماه أحدهم بحجر أصاب أنفه وكسر رباعيته (١٥) . وتمالك النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وسار مع البقية الباقية من أصحابه مقاتلا ، فاذا به يقع فى حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأسرع اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بيده . ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى ..

وأخذ المشركون يديمون زخم هجومهم المضاد للقضاء على المسلمين وعلى النبي صلى الله عليه وسلم بالذات ، وصاح أحدهم بأعلى صوته : قتلت محمدا ..) ..

وقاد الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه رجاله ، ورمى بنفسه عن قوسه ، حتى تحطمت القوس .. وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الآخر ، حتى استطاعوا بقيادته الفذة شـــق طريقهم عبر صفوف المشركين ، ولجأوا الى رابية مشرفة من روابى جبل (أحـــد) ..

وتركت هذه الشجاعة المذهلة أثرها فى قريش ، فتوقف زخـــم هجومها ، وذهبت محاولات قريش كافة للقضاء على النبى صلى الله عليه وسلم أدراج الرياح ..

وصدق الله العظيم : (ولقد صدقكم الله وعده ، اذ تحسونهم (١٦) بأذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعـــد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين) (١٧) ..

وعاد المشركون أدراجهم الى مكة ، وعاد المسلمون الى المدينة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قرر القيام بحركة جـــريئة ترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع يهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنورة قويا كما كان ..

لذلك خرج بأصحابه الذين شهدوا غزوة (أحـــد) فقط ، فى اليوم الثانى من يوم (أحـــد) لمطاردة المشركين . فلما وصل موضـــــع (حمراء الاسد) (١٨) ، جاءه من يخبره أن قريشا قررت السير اليه ..

وقرر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لقاء قريش ، وبقى ينتظرهم هناك ثلاثة أيام ، ولكن المشركين المنتصرين خافوا لقاءه وحرصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم ..

ان شجاعة النبى صلى الله عليـــه وسلم فى (أحـــد) تجل عن الوصف ، فقد استطاع أن يسيطر على الموقف الحربى تجاه تفـــوق ساحق للمشركين فى معركة يائسة الى أبعد الحدود ، ثم يعيد تنظيم رجاله ويعيد اليهم معنوياتهم ويصد هجمات مضادة للمشركين ، فيحيل الهزيمة النكراء الى نصر ، لانه اضطر قريشا الى اليأس من القضـــاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين أمرا حتميا ، ثم اضطرهم الى الانسحاب من ساحة المعركة بعد اليأس من ابادة المسلمين ..

ولم يكتف بذلك ، بل خرج فى اليوم الثانى من المعركة ، لمطاردة المشركين ، حتى اضطرهم الى اتخاذ (الحيلة) بارسال معلومات كاذبة للمسلمين حول اعتزامهم على اعادة الكرة على المسلمين ، فلم يكترث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التهديد والوعيد ، وانما أعد العدة لمجابهة المشركين ، وقرر لقاءهم مهما تكن الظروف والاحوال ..

اننى لم أقرأ فى تاريخ الحرب ، قائدا تميز بمثل هـــذه الشجاعة الخارقة ، ولعل موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى (أحـــد) هو من أعظم مواقفه العظيمة فى الحرب التى تدل على شجاعته التى لا تتكرر أبـــدا ..

— ٤ —

أ) . وكان تعداد جيش المسلمين فى غزوة (الخندق) ثلاثة آلاف رجل، وكان تعداد الاحزاب عشرة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان ..

وحاصر المشركون المدينة المنورة ، واشتد القتال ، وكان رجحان كفة المشركين على المسلمين ظاهرا للعيان ، لذلك نكث يهود قريظة وانضموا الى المشركين ..

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ، اذ أصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة بيهود ومن خارجها بالمشركين ..

فى ذلك الموقف العصيب ، الذى يفتت أصلب النفوس واشجعها ، والذى وصفه القرآن الكريم وصفا أبلغ وصف وأصدق وصف ، فقال تعالى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (١٩) . واشهد اننى لا أكاد أقرأ هذه الآية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، الا وتكاد اعصابى تتمزق ويتملكنى الشعور بالخوف الشديد والاشفاق على المسلمين من الموقف الرهيب الذى عاشوه يومذاك وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الأحزاب ..

ومع ذلك ثبت الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات لا يتزعزع ولا يريم ، واثقا بالله معتمدا عليه معتدا به . يقاتل كما يقاتل أصحابه ، ويحفر كما يحفرون (٢٠) ، ويحرس كما يحرسون ، ويسهر كما يسهرون ، بل كن يستأثر بالخطر ويؤثرهم بالامن ، ثم يحرضهم على القتال ويبشرهم بالنصر أو الجنة ، وانما هى احدى الحسنيين : انتصار أو شهادة ..

ب) . ويوم (حنين) كان خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقدمة المسلمين فى مائة فرس هى خيل بنى سليم عند التقدم من مكة المكرمة الى الطائف لقتال هوازن وثقيف الذين أجمعوا على حرب المسلمين (٢١).

وكان مالك بن عوف النصرى قائد المشركين قد عبأ رجاله فى وادى (حنين) ليلا وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة ..

وانحدر المسلمون فى عماية الصبح فى وادى (حنين) على تعبية، وهو واد من أودية (تهامة) أجوف خطوط (٢٢) ينحدر انحدارا . وهاجم المشركون المسلمين من كل جانب ، فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ..

ولكن الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته لا يزيدون على العشرة رجال (٢٣) ..

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ينادى الناس اذ يمرون به منهزمين: (اين أيها الناس ؟ أين ؟ .. هلموا الى ! انا رسول الله ! انا محمد بن عبد الله .. !) ..

وتقدم عليه أفضل الصلاة والسلام وهو راكب بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقول :

(انا النبى لا كذب   انا ابن عبد المطلب)

وأمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه أن ينادى : (يا معشر الانصار ! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية) ..

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى .. وسمع المهاجرون والانصار النداء ، فكافحوا ليبلغوا مصدر الصوت ،

ورمى أكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة ..

واجتمع حول الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام نحو مائة مسلم وهم يتصايحون : (لبيك .. لبيك ..) فاستقبل بهم صلى الله عليه وسلم المشركين ..

واشتد القتال ، وتقدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام برجاله ، ففر المشركون .. واستسلم كثير منهم أسرى ، فلما عاد المسلمون وجدوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالاغلال ..

ولولا ثبات النبى صلى الله عليه وسلم ، لاصيب المسلمون بكارثة عسكرية ، ولصدق القائل حين رأى انهزام المسلمين : (لا تنتهى هزيمتهم دون البحر) (٢٤) ..

ولكن شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم غيرت الموقف من حال الى حال ..

قال البراء بن عازب رضى الله عنه : (كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله وسلم ، وان الشجاع الذى يحاذى به) (٢٥) ..

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا ..)

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يقود رجاله من (الامام) ، يقول لهم : (اتبعونى .. اتبعونى ..) ..

لم يكن يقودهم من الخلف ، يقول لهم : (تقدموا .. تقدموا ..) ثم يأوى الى مقر آمن مريح ..

لذلك استحوذ بشجاعته واقدامه .. بمثاله الشخصى الذى يضربه لرجاله فى الشجاعة والاقدام .. ببذله وتضحيته واستئثاره بالاخطار وايثار أصحابه بالامن .. يستحوذ على (ثقة) رجاله ، فقادهم من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى شمل الاسلام أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فوحد العرب تحت لواء الاسلام ..

ذلك هو الدرس العظيم الذى يعلمه الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لاتباعه المسلمين ولقومه العرب .. فى هذه الايام بالذات ..

فما أحرج العرب والمسلمين ان يتلقوا هذا الدرس ، عن سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة المؤمنين وخاتم النبيين ..

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

---

(١) يريد : حضرت قريشا .

(٢) . الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما تركته قريش فى بنائها من اساس ابراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمى حجرا لذلك لكن فيه زيادة

على مافى البيت ، وكان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده على ما كان عليه فيالجاهلية. (راجع معجم البلدان) .

(٣) غمزوه : طعنوا فيه .

(٤) . الذبح : مجاز عن الهلاك ، ومنه في حديث القضاء : (من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح ، فليحذره) .

(٥) الوصاة : الوصية .

(٦) يرفؤه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .

(٧) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (١ / ٣٠٩ — ٣١٠) — تحقيق مصطفى السقا ورفاقه — القاهرة — ١٣٥٥ هـ .

(٨) كان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا وسائرهم من الانصار . انظر طبقات ابن سعد (٢ / ١٢) ، مع اختلاف طفيف في عددهم بالمصادر الاخرى . انظر جوامع السيرة لابن حزم (١١٤ — ١٤٦) وسيرة ابن هشام (٢ / ٣٢٤ — ٣٥٤) .

(٩) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه في الحلق ، جمعها : أسوقة .

(١٠) انظر : دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٢٧٨) — القاهرة — ١٣٨٩ هـ .

(١١) الخطب : الحال والشأن . وفى القرآن الكريم : (قال : فما خطبكم أيها المرسلون ؟! .. والامر الشديد يكثر فيه التخاطب جمعها : خطوب . وهنا يريد : الامر الشديد ، والخطر المحدق .

(١٢) الحدق : جمع حدقة . والحدقة : السواد المستدير وسط العين . واحمرت الحدق : اشتد الخطر وتفاقم الامر ، حتى احمرت الحدق من جراء ذلك . وهذا التعبير : احمرت الحدق ، كناية عن تفاقم الخطر واشتداده .

(١٣) انظر الرسول القائد (٤٣١) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٤٢) .

(١٥) الرباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى أربع : رباعيتان في الفك الاعلى ، ورباعيتان في الفك الاسفل .

(١٦) تحسونهم : تستأصلونهم بالقتل . قال ابن هشام : الحس : الاستئصال . يقال : حسست الشيء : أى استأصلته بالسيف وغيره . انظر سيرة ابن هشام (٣/٦٦) .

(١٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٢) .

(١٨) حمراء الاسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، على طريق المدينة — مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٣٣٧) .

(١٩) الآيات الكريمات من سورة الاحزاب (٣٣ : ١٠ — ١٢) .

(٢٠) عمل النبى صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق كأى فرد من المسلمين ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات والصعاب في اثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر هو بنفسه لتفتيتها ..

(٢١) انظر طبقات ابن سعد (١ / ١٤٩) والطبرى (٢ / ٢٤٤) وسيرة ابن هشام (٣ / ٦٨) .

(٢٢) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . واجوف : متسع . وهطوط : منحدر .

(٢٣) هم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب والعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد الذى قتل يومئذ .

(٢٤) انظر التفاصيل في : الرسول القائد (٣٥٧ — ٣٦١) وخالد بن الوليد المخزومى (٨٠ — ٨٢) .

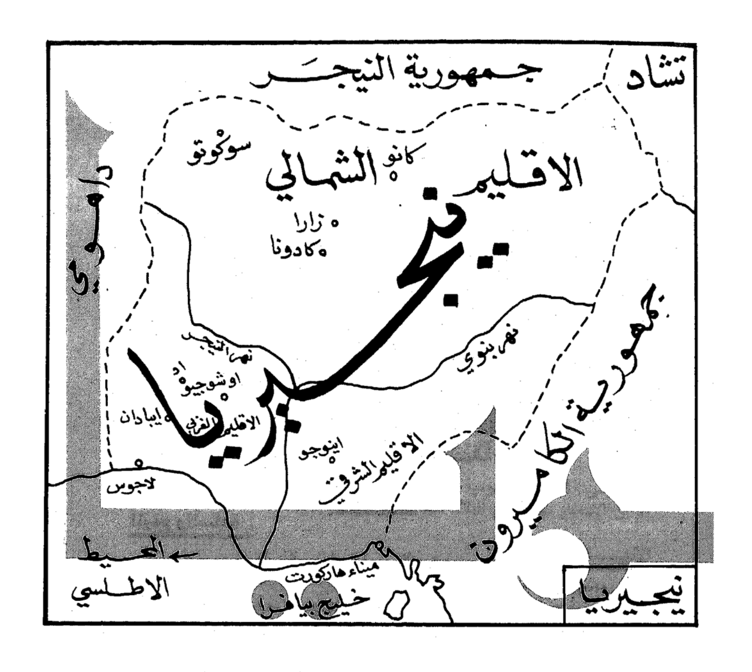
(٢٥) رواه البخارى .



أخي القارىء

هل تعلم :

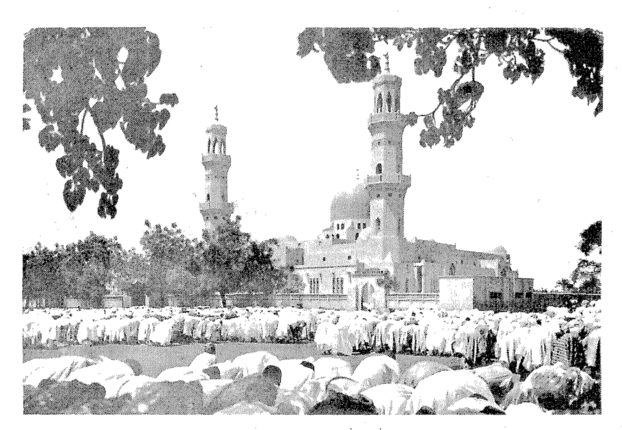
- **أن نيجيريا هي اكبر بلد افريقي من ناحية عدد السكان .**
- **وان نيجيريا اشتق اسمها من كلمة نيجرو اى الزنجي**



اعداد : الأستاذ عرفات كامل العشي

الأسود ثم اطلق الاسم على النهر الكبير الذى يشقها ، ثم على البلاد نفسها .

- وان امبراطورية اسلامية كبيرة قامت فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر .
- وان نيجيريا من البلاد التى انتشر فيها الاسلام بقوته الروحية تماما كاندونيسيا وغيرها من الأقطار .



مسجد كانو الشهير ـ نيجيريا الشمالية ..

نيجيريا

الموقع والمساحة :

تقع نيجيريا على الساحل الغربي لأفريقيا ، يحدها من الشمال جمهورية النيجر والصحراء الافريقية الكبرى ، ومن الغرب جمهورية داهومى ، ومن الشرق جمهورية الكاميرون ، ومن الجنوب خليج غينيا .

وهي من حيث مساحتها تكاد تعادل مساحة باكستان أو ما يعادل أربعة أمثال مساحة بريطانيا ، فمساحتها (٣٦٧ر٦٦٩) ميلا مربعا ، وتعطى هذه المساحة الهائلة من الأراضى أنواعا شتى من النبات ، فهناك نباتات استوائية ، وأعشاب سافانا ، وهناك أراض شبه صحراوية .

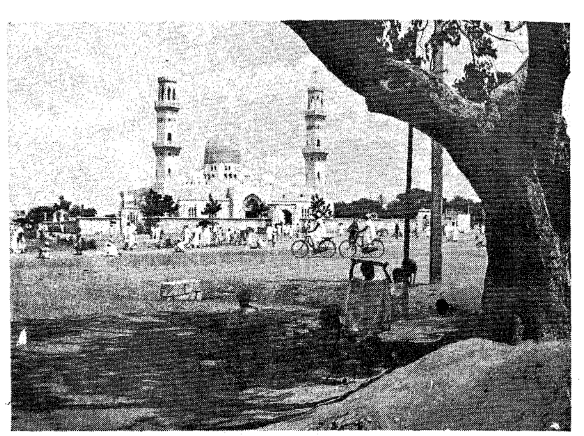
التضاريس والمناخ :

المنطقة الساحلية من نيجيريا مكسوة بالغابات والمستنقعات تتلوها فى الداخل المنطقة الاستوائية وهى غنية بالأخشاب ثم تأتى الاراضى المنبسطة المكسوة بالشجيرات والحشائش وتكثر فيها المرتفعات والتلال .

أما مناخ نيجيريا فيغلب عليه الطابع الاستوائى وهناك فصلان رئيسيان فى البلاد :

الأول فصل جاف ويمتد من شهر نوفمبر الى شهر مارس .

والثانى فصل الشتاء المطير ويشمل بقية أيام السنة ، وتسقط أمطار



مسجد كانو المركزى ــ الواجهة الثانية ..

غزيرة فى المناطق الجنوبية ، وتقل الامطار بالتدريج كلما اتجهنا شمالا ، الا أن الامطار تكفى فى البلاد كلها للاغراض الزراعية .

الانهـــار :

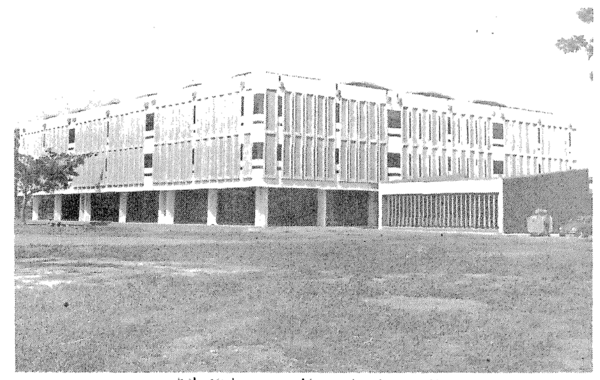
فى نيجيريا نهران عظيمان هما نهر النيجر ، ونهر بنوى . وينبـع الاول من جبال فوتا فى غينيـــا ، ويأتى الثانى من الكاميرون . ويلتقى النهران فى منتصف أراضى نيجيريا فيتحدان وتتفرع عنهما عدة فروع ثم يصب الجميع فى خليج غينيا .

درجات الحرارة :

أما درجات الحرارة فنادرا ما ترتفع فى المنطقة الساحلية عن ٩٠ درجة فهرنهايت أى حوالى (٣٣ درجة مئوية) الا أن نسبة الرطوبة عالية بها ، وكلما انتقلنا الى الشمال كلما كان الطقس أكثر جفافا .

ثروات البلاد ومنتجاتها :

تعتبر نيجيريا أغنى بلد أفريقى من حيث مقدراتها . ففى عام ١٩٦٦م كانت تضخ ١٩ مليون طن من النفط وقد ارتفع ذلك الى أكثر من سبعين مليون طن مؤخرا (اللهم الا أثناء حرب الانفصال فى بيافرا) .



كلية عبد الله بايرو ــ كانو ــ نيجيريا الشمالية

ونيجيريا أكبر بلد منتج لجوز الهند فى العالم ، فيبلغ انتاجها منه حوالى (٧٠٠,٠٠٠) (سبعمائة ألف طن) سنويا ، وتعتبر الثانية بين دول العالم المنتجة للكاكاو بعد غانا ، وهى أكبر رابع دولة منتجة للصفيح ، وهى مسئولة عن نصف انتاج العالم تقريبا من بذرة النخيل وعن ٧٠ ٪ من زيت النخيل . وهناك (١٢٠,٠٠٠) ميل مربع من أراضى نيجيريا مكسوة بالغابات وتزرع نيجيريا ٢٤ صنفا من الأخشاب ، وبها مزارع للمطاط فى الاقليم الغربى الأوسط والاقليم الشرقي ، أما الشمال فغنى بالثروة الحيوانية .

السكان وتوزيعهم :

تعتبر نيجيريا أكبر بلد فى أفريقيا من حيث عدد السكان ، فقد بلغ عدد سكان نيجيريا حسب احصاء عام ١٩٦٣ حوالى ٥٥ مليون نسمة ، وبديهى أن هذا الرقم قد تضاعف كثيرا خلال السنوات السبع الماضية ، فيقدر عدد السكان حاليا بأكثر من ستين مليونا . و ٧٥٪ من السكان مسلمون .

أما توزيع السكان فى الاقاليم الاربعة التي يتكون منها اتحاد نيجيريا فهو كما يلي : الاقليم الشمالى : ٣٥ مليون نسمة ٩٩ ٪ منهم مسلمون ، والاقليم الشرقي : ١٣ مليون نسمة أغلبيتهم من النصارى وبه قليل من

المسلمين وبقيـة السكـان فى الاقليمين الغربى الاوسط والغـربى من الوثنيين والنصارى والمسلمين . هــذا بالاضافة الى منطقة العاصمة الاتحادية لاغوس .

القبــائل :

وفى نيجيريا يسود النظام القبلى فيها حوالى ٢٥٠ قبيلة لكل منها لغتها الخاصة بها ، الا أن هناك أربعة تجمعات قبلية رئيسية هى الهاوسا والفولانى واليوروبا والايبو ، وتتركز قبائل الهاوسا والفولانى فى الشمال، وتتركز قبائل الأيبو فى الاقليم الشرقى ، أما قبائل اليوروبا فأكثر أفرادها فى الاقليم الغربى .

اللغــات :

ولغة الهاوسا تعتبر اكثر اللغات انتشارا فى نيجيريا ، فثمانون فى المئة من السكان يفهمون الهاوسا وتكتب بالأبجدية اللاتينية والعربية ، أما اللغة الرسمية للبلاد فهى اللغة الانجليزية .

اهــم المــدن :

يعيش حوالى ١٠ ٪ من السكان فى المدن الرئيسية فى نيجيريا ، ومعظم المدن الكبرى توجد فى بلاد اليوروبا وهى تشتمـل على لاغــوس (أو لاجوس) العاصمة الاتحادية ، ومدينة ابيادان ، عاصــمة الاقليم الغربى ، ولا يضم الاقليم الشرقى سوى عدد ضئيل من المــدن الكبرى اهمها اينوجو عاصمة الاقليم وميناء هاركورت ، واهم المدن فى الاقليم الشمالى هى كانو ، الورين ، زاريا ، كادونا عاصمة الاقليم .

دخــول الاسلام :

انبثق فجر الاسلام فى نيجيريا فى أواخــر القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادى) عندما فتح المسلمون العرب شمال افريقيا وجزءا من غربها ، واندفع تيار الاسلام الى نيجيريا من مصر وشمال أفريقيا .

وقد تميز دخول الاسلام الى هذه البلاد بالتسامح ، فقد غزاهــا هذا الدين بقوته الروحية وليس بقوته المادية ، وكانت النفوس ولا زالت تنجذب اليه بفطرتهــا لا بدعايــة الأمــوال أو قــوة السلاح ، وللتجار المسلمين فضل كبير بعد الله فى ذلك .

ولقد ازدهرت الثقافة العربية مع الدين الاسلامى قرونا عديدة فى نيجيريا قبل أن تتسرب اليها الديانة النصرانية والثقافة الاوروبية الحاضرة .

امبراطورية اســلامية :

ولقد قامت فى نيجيريا عدة ممالك اسلامية على مر القرون ، الا أن

أهم هذه الممالك الامبراطورية المسماة بالامبراطورية الفولانية . ففى عام ١٨٠٤ ميلادية قام رجل يدعى عثمان دان فوديو ، وكان عالما مسلما من قبائل الفولاني ودعا الى حركة بعث اسلامى ، ولقد بايعه الناس على الامارة فاستطاع أن يوحد البلاد تحت ادارة قوية وأصبح هو السلطان واتخذ لقب أمير المؤمنين ، وأصبح نوابه أمراء للأقاليم ولا يزال لقب أمير متوارثا الى يومنا هذا ، والجدير بالذكر أن أحمدو بلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية الأسبق هو من أحفاد السلطان عثمان ، وهكذا قامت فى القرن التاسع عشر مملكة اسلامية قوية ادت الى نهضة اسلامية .

التبشير والاستعمار :

لكن الحال لم يدم فالأيام دول ، وهكذا بدأ الضعف يدب فى المسلمين ، وعم الجهل والتخلف ، وبدأ المكتشفون الأوروبيون يصلون الى افريقيا ، وتلاهم المبشرون النصارى والمستعمرون .

وقد بدأ النشاط التبشيرى النصرانى فى نيجيريا مبكرا على يد المبشرين البرتغاليين فى العقد الثامن من القرن الخامس عشر للميلاد ، واتخذ التبشير مدارس كثيرة مرصادا لاقتناص أبناء المسلمين ، ولما استولى الاستعمار البريطانى على البلاد أخذ يعمل على احلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية حتى غدت اللغة الرسمية .

ولقد كادت اللغة العربية تندثر لولا جهود وفق الله اليها بعض الجمعيات الاسلامية التى أنشأت مدارس اللغة العربية لكافة المراحل ، من ذلك مدرسة اللغة العربية فى كانو والمعهد العربى النيجيرى فى ايبادان وجامعة عبد الله بايرو .. وغيرها كثير .. وأهمها كلية عبد الله بايرو التى يجيد طلابها العربية اجادة تامة .

لكن التبشير النصرانى قد بلغ درجة من التغلغل فى نيجيريا بحيث أصبح له فى كل قرية مدرسة أو مستشفى أو مركز تبشيرى خاص به ، وتدفقت عليه الأموال الطائلة من كل فج ، لذلك لم يكن غريبا أن يبلغ عدد النصارى فى الاقليم الشرقي وحده حوالى عشرة ملايين ونيف . ويعمل المبشرون على تنصير المسلمين حتى أن احدي الاحصائيات الاخيرة تقول بأن أحد عشر طالبا مسلما من طلاب المدارس يدخلون كل يوم في الديانة النصرانية .

ماساة نيجيريا :

فى مطلع الستينات برزت نيجيريا كدولة مستقلة قوية ، عبارة عن اتحاد مؤلف من اربعة أقاليم تسيطر عليه أكثرية من المسلمين ، فرئيس وزراء نيجيريا الشمالية رجل مسلم مجاهد هو أحمدو بلو ، ورئيس وزراء الحكومة الاتحادية مسلم وسياسى محنك هو ابو بكر تفاوا بليوا ، وأخذت البلاد تسير سيرا حثيثا نحو اشاعة الاسلام فى كافة مناطقها ، فقد هدى الله الى الاسلام في يوم واحد على يد أحمدو بلو حوالى ستين الف شخص ، وأخذت البلاد تتجه لمحاربة النفوذ الاسرائيلي في بعض أقاليمها ، وأخذ المد النصراني ينحسر ويتراجع شيئا فشيئا .

ومن هنا جن جنون المبشرين والمستعمرين وخافوا أن يشتد عود العملاق الناشىء فدبروا له ضربة قاصمة فى شهر يناير عام ١٩٦٦ م فحدث عصيان عسكرى قاده مجموعة من الضباط النصارى من قبائل الايبو فقتلوا أحمدو بلو وزوجته وأحرقوا بيته ، كما قتلوا رئيس وزراء الاتحاد أبو بكر تفاوا بليوا ، وهكذا أطاحوا بالحكومة المدنية الديمقراطية، وانشئت حكومة عسكرية بقيادة الجنرال جون أيرونزى ، فسعت الى الغاء نظام الأقاليم، واقامة حكم دكتاتورى تعسفى .

لكن الحال لم يدم لها اذ قام انقلاب آخر فى شهر يوليو ١٩٦٦ قاده بعض الضباط من قبائل الهاوسا فأدى الى مقتل الجنرال ايرونزى ، وانشاء حكومة عسكرية جديدة بقيادة الكولونيل يعقوب جوون ، وهو نصرانى من الشمال .

بيافرا :

ولما لم تفلح مؤامرة أعداء الاسلام لسحق الاتحاد وضرب الحركة الاسلامية الناشئة فى نيجيريا ، أعلن الاقليم الشرقى انفصاله عن الاتحاد فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وكون جمهورية بيافرا ، وهنا هبت اسرائيل والبابا والدول الاستعمارية وعلى رأسها فرنسا فمدت يد العون المادى والعسكرى لحكومة بيافرا الانفصالية ، وقامت حرب أهلية طاحنة استمرت عدة سنوات انتهت بفشل الانفصال وضم بيافرا نهائيا الى الاتحاد من جديد .

وبعد ، فلئن هزم أعداء الدعوة الاسلامية فى معركتين فى نيجيريا، فليس معنى ذلك انهم استكانوا وقعدوا عن التآمر ، فلا تزال الأموال الطائلة تتدفق لدعم التبشير النصرانى تحت ستار المساعدات الخيرية .

ولا يزال كثير من النصارى يسيطرون على مراكز رئيسية حساسة فى الحكومة الاتحادية ، ولا يزال المسلمون يتجمعون على أساس واه هو التجمع القبلى لا العقائدى . ومن الطريف أن يعقوب جوون النصرانى قام بانقلابه ضد الجنرال ايرونزى النصرانى أيضا بدافع من الثأر للقتلى من أبناء قبيلته رغم كونهم مسلمين .

وقبل أن نختم يرد تساؤل مؤلم : فالى متى تتحكم اقلية نصرانية بأكثرية مسلمة فى كثير من البلاد المسلمة فى أفريقيا .

الم يأن للمسلمين أن يستيقظوا ويتشبثوا بدعوتهم الربانية ويتركوا دعاوى الجاهلية ؟ فصدق الله العظيم اذ يقول :

(لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون)

المراجــع :

١ ــ كتاب افريقيا ــ دراسة لمقومات القارة تاليف الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول

٢ ــ كتاب تقــويم العالم الاسلامى باللغــة الانجليزية اصدار مؤتمر العالم الاسلامى ــ باكستان

٣ ــ الانسيكلوبيديا بريتانيكــا (الموسوعــة البريطانية ــ المجلد ١٦ .

٤ ــ موجز تاريخ نيجيريا للأستاذ آدم عبد الله الألورى .

وما أحلى الغدا

فِي حاضِرى أبنِى الْغَــدَا ... وَتَخِـذْتُهُ لِي مَوْعِــدَا

وَذَكرتُ أيامِى وأحـــــ ... ــلاَمِى الَّتِي ذَهَبَتْ سُدَى

ونفضتُ آلامى تُــــؤرِّ ... قنِى ، وَضِقْتُ بِهَا يدَا

وملِلْتُهــا ، ومللتُ كُلَّ ... حَدِيثِهَــا لِي وَالصــدَى

وغدِى وليس الأَمْسُ كَا ... ن - كَمَا أرَى - لِي مَوْلِـدَا

وَاهًـا لِأمسِ مُشَـرَّدًا ... وَاهًـا لِأَمْسِ مُبَـدَّدَا

مَا أمس مِنْ عُمْرِ الزمَـــا ... ن ، ولم يَدَعْ عندِى يَدَا

لِمَ لَمْ أعِشْ فِي عَصْر أجْـ ... ـدادِي الْقُدَامَى سَرْمَدَا ؟

لِمَ لَمْ أعِشْ فِي دَارِ آ ... بَائِي ، لِأُمْطِرَهَا نَدَى ؟

جِئْتُ الزَّمَـانَ مولّيـا ... هرِمًا ، وَقَدْ بَلَغَ الْمَدَى

جِئْتُ الحَيَـاةَ وَوَجْهُهَا ... أمْسِي كَئِيبًا أرْبَـدَا

وكأمسِ يَــوْمِي عِشْتُهُ ... عِشْتُ الزمَـانَ الأنْكَدَا

فاليَوْمُ كَالأَمْسِ الْغَرِيـ ... ـبِ ، وَعِشْتُ فِيه مُفرَدَا

أنَا عِشْتُ الاثْنَيْنِ الحَزِيـ ... ـنَ ، الساهم ، المُتَمَرِّدَا

لَوْلاَ الْغَـدُ المَرْموقُ سر ... تُ كَمَنْ يَسِيرُ الى الرَّدَى

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

لَوْلاهُ عِشْتُ عَلَى الأَسى ... أسِفَ الفُؤادِ مسهَّدَا
جُمِعَ الزمانُ ، فكانَ ، كَا ... نَ غدًا ، وما أحلَى غدَا
لِلدِّين ، لِلإسْلام ، سَوْ ... فَ يَجيءُ ، يَقْبلُ ، لِلْهُدَى
لِلْمَجْدِ ، لِلْحِلْمِ الكَبيرِ ... وَمَا أجلَّ وَأَحْمَدَا
لِلنَّصْرِ ، لِلآمَالِ أحْـ ... ـيَا فِيه ، أَحْيَا مُسْعِدَا
لِحَيَاتِنَا المُثْلَى يجيءُ ... غَدٌ ، وَيَخْطِر سُؤْدَدَا
وَتَكَادُ تَنْدَى أرْضُنَـا ... مِنْه ، وَتُنْبِتُ عَسْجَدَا
وتَكَادُ تُورِقُ مِنْهُ أزْ ... هَارُ الرَّبِيعِ زَبَرْجَدَا
أعْلامنَا تَخِذَتْ بِهِ ... فَوْقَ الكَوَاكِبِ مَقْصَدَا
يَعنو له وَجْهُ الجَلا ... لِ ، وَهَامُ دَهْرِي ، سُجَّدَا
وَنَصُوغُ فِيه لِدِينِنَا ... عِقْدَ الفَخَارِ مُنَضَّدَا
وَيعُودُ فيه المَجْدُ ، بالـ ... ـهمم الكِبَارِ مُخَلَّدَا
كَرُمَ الغَدُ المَأْمُول نَحْـ ... ـيَاهُ وَمَا أحْلَى الغَدَا
المُسلِمُون بِهِ يَطُو ... لون السُّهَا ، والفَرْقَدَا
وَبِهِ يَنَالُونَ الفَخَا ... رَ ، طَرِيفَه ، وَالمتلدَا

فِيـه وَفِي أَبْـرادِهِ نسمُو ونكـرَمُ محتِّـدَا
تَخْتَالُ فِيه وَفِي ضُحَا ه عَلَى الخطُوبِ ، عَلَى الْعِدَا
لاَ نَحْذَرُ الْموتَ الرهيـ ـبَ ، ولاَ نَخَافُ بهِ الرَّدَى
ونَمُدُّ فِيهِ ، نَمُدُّ أيـ ـدِينَا ، تُصَافِحُ (أحْمَدَا)
وَنقُولُ : عَادَ لَنَا الزمـا ن ، ومَا أعَـزَّ وأمْجَدَا

* * *

سَيَجِئُ ، للْبَعْثِ الْعَظِيـ ـمِ غَـدٌ ، ويوقِظُ رُقَّدَا
يَمْشِى سَعِيدًا بيْنَنَـا وَيَطِيبُ فِينَـا مَوْرِدَا
ويَروح ، يغـدو فِى رَوا بِينَا جَلِيـلاً ، سَيِّدَا
ويَجِيءُ للأَمَـلِ النَّبيـ ـلِ ، وللرَجاء مُؤَكّدَا
ويَجِيءُ للزّحْفِ الكَبيـ ـر ، وللبِنَـاء مُوَطّدَا
ويَجِئُ للعِـزِّ التَّلِيـ ـدِ ، وللسلامِ مُؤَيِّدَا
لِفَضَائِل الاسـلام ، للـ ـخُلق الزَّكِيِّ مُمَجِّدَا
وَثَنِيَّـة العصـر الذى نحيَاه يَصْرَعُهَا الرَّدَى
ولـكل بهتَـان وَمَسْـ ـوأةٍ يَجِئُ مُشَـرِدَا
يَبْنِى لـهُ القرآن مَجـ ـدًا بالقـديم مُشَيَّدَا
ولَـهُ ، لـه ، عَزَمَاتُنَـا تَبْنِى وتَرْفَعُ أعْمُـدَا
هَـذَا سَنَاه وذَاكَ مش ـرقه يَجِيء مُجَـدِّدَا
هَذِى رُؤَاه وَذَاكَ مَـو كِبُه يَسِيرُ ، لَقَدْ بَدَا
كَرَمُ الْغَـد المَنْشُود نحـ ـيَاه ومَا أحْـلَى الغَدَا
ونَمُدُّ فِيـه ، نمـدُّ أيـ ـدِينَا ، تُصَافِح (أحْمَدَا)
إن قيل : من لمآثر الـ إسْلام ؟ قَـال : (محمدًا)



روى مسلم فى صحيحه من حديث طويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب » (١) .

فى هذا التعبير النبوى صورة رهيبة ودقيقة لحالة العالم أيام مبعثه ، اختصرت التاريخ البشرى فى كلمات يسيرة ، ولو شئنا تتبع ظلالها فى واقع ذلك العالم لرأيناه أشبه بتفسير مفصل لهذا الوصف البليغ المكثف ..

فالتصريح النبوى يستوعب أهل الارض جميعهم على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ومواطنهم فيعرضهم فى وضع لا يستحق من خالقهم الا المقت ، ولا يستثنى من هذا المقت الا بقايا من أهل الكتاب .. وطبيعى ان هذه البقايا لا تشمل سوى النزر اليسير من مجموع الأمم الكتابية ، وهم دون ريب طائفة من حملة العلم الالهى ، الذين احتفظوا بأمانة الوحى نقية كما

أراد الله ، وشاء الله حمايتهم واستبقاءهم ليكونوا حجته على عباده . وشهداءه على رسالته الخاتمة ..

ونظرة الى مخطط الحياة البشرية آنذاك من أقصى الصين الى تخوم الاطلسي تبرز لنا هذه الحقيقة في أجلى بيان ، اذ نرى (العالم — على حد تعبير العلامة الندوى — أشبه ببناء ضربه زلزال فقلب أوضاعه ... فالشعوب قطعان ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج منطلق ، والحكام كسيف في يد سكران ..) واذا كان هذا الوصف يلخص الواقع المنظور لأرقى أمم هذه الكرة ، وهي أمة الفرس وأمة الروم ، فغيرهما من الامم ، التي لم تبلغ مبلغهما في الحضارة والرقي العلمي ، أشد تمثيلا لهذا الانهيار . وقد ضاعت في هذه الظلمات رسالة النبيين ، فانطلقت الغرائز البهيمية تتحكم في مصير الجنس البشري ، اذ أصبحت المنافع العابرة هي مقياس المجد والعظمة ، والتفوق ، سواء في ذلك الافراد أو الجماعات . وهكذا اشترك الناس كلهم في هذا الصراع الذي لا يعترف بحق لغير القوة، قوة المال ، وقوة السلاح وقوة العصبية ، وما الى ذلك من مظاهر الطغيان الذي أفلت من كل زمام ونظام ورباط أخلاقي . فالدولة الرومية أداة لترفيه الطبقة الحاكمة ، على حساب شقاء الجماهير ، ولم يكن حكم اليونان قبلها بأقل قسوة وتحيزا ، وهو الذي أغرق ديار الشام بالنزاع والشقاق والدماء طوال سبعة قرون ... ولم تقصر الدولة الكسروية في هذا المضمار ، حيث استطال الطغيان على كل شيء ، وفرض على عامل الارض ان يكون شيئا من متاعها ينقل معها من مالك الى آخر ، دون أن يكون له أي حق في تغيير سيده أو تبديل حرفته .. واذا صرفنا النظر تلقاء الهند واجهنا المجتمع العجيب الذي يعتبر التقسيم الطبقي أصل وجوده ، فالنعيم المترف حظ البراهمة وحلفائهم من الطبقات العليا ، والشقاء والذل نصيب المنبوذين الذين خلقوا — بزعم الوثنية الهندية — من قدم بوذا ، فليس لهم ان يرفعوا أعينهم عن التراب . ومع أن سكان الجزيرة العربية أيامئذ كانوا أقرب الخلق الى سلامة الفطرة ، لم تعد حياتهم ان تكون جحيما من الرعب لا نهاية له ، لان قسوة البادية ، وضنك العيش ، وضغط النظام القبلي ، كل أولئك كان يزج بهم في حروب مستأصلة يقتل فيها الاخ أخاه والقريب قريبه ، فما تكاد دماء الضحايا تجف ولا حملات الثأر تفتر ... وقد أناخ الشقاء بكلكله على الجميع فلا منفذ ولا أمل ، ولا شعاع من هداية ، الا لمعا هزيلة مثل أضواء الحباحب يرسلها بعض الشعراء أو الخطباء أو الحنفاء ، في حكم بتراء لا تعدو كونها تعبيرا عن حاجة الفطرة الى نور لا تعلم من أين ينبثق ! .. وقد زاد البلاء عمقا انسياق رجال الدين في هاتيك التيارات الجارفة ، فبدلا من ان يتجردوا للنهوض باعباء الاصلاح تذكيرا وارشادا ، وتحذيرا واجتهادا ، اذا هم — أو معظمهم — يقتلون طاقاتهم في تأييد الطواغيت من جانب وخوض معارك الجدل العقيم من جانب آخر .. وذلك ما سبب العديد من المذابح الطائفية ، ولا سيما في مصر والشام ، حيث طورد دعاة التوحيد ، وفرضت الدولة فلسفتها الوثنية على رعيتها المسيحية بقوة الارهاب وفنون النكال .. وهكذا شمل الضياع كل مكان ، اذ بات

الناس مقطوعى الصلة بهداية السماء ، فكل خطوة ينقلونها تزيدهم بعــدا عن ساحل النجاة وغوصا فى النائبات . وقد أثبت العقل افلاسه فى هذه الظلمات الطاغية ، فلا سبيل للخلاص عن طريقه ، بل لا أمل بالخـــلاص الا عن طريق معجزة الهية توقظ ضمير البشرية النائم ، وتضىء للعقــل الحائر طريق الحق ليسلكه على بصيرة . ومهما أوتى الانسان من بلاغــة الوصف ، فهو سيظل عاجزا عن الاحاطة بما يصوره القرآن العظيم من هذا الواقع الأليم ، وذلك فى قوله الكريم : (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا . . . » فالفساد قــد شمل الكرة كلها لم يستثن منها برا ولا بحرا ، وهو نتيجة زيغ الانسان عن سبيل الهدى الحق ، الذى أخذ الله عليه العهد باتباعه ، منذ أخرج طلائعه الى هذه الدنيا ، مزودة بوصيته تعالى ، التى تقول للجنس البشرى ممثلا بأصوله الأولى « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . . » . . تلك الوصيـــة الرحيمة التى تؤكد وقائع التاريخ كل حين أنها العاصمة من كــل قاصمة . فالحياة التى كتب للانسان أن يعيشها على هذه الارض قد شاء خالقها ان تبلغ من التعقيد الحكيم حدا لا تستكشفه العقول كلها ولو كان بعضها لبعض ظهيرا ، فهى كالمفازة المهلكة ، لا بد فيها من الدليل الخريت ، والا ضاع الركب ، وفنى الزاد ، وهلك الرائد . . . ولا دليل يصلح فى حياة الانسان الا رعاية الله الذى لم يقطع عنه مدده طوال العصور . . فلم يخل أمة من نذير يوحى اليه بما يكفل لها الهدى الذى يدفع عنها كل ضلال وشقاء . . . والويل للمعرض عن ذلك النور اذ لا مصير له سوى الضنك ، والضياع ، وما يعانيه البشر الزائغون عنه من العمى المفسد للحياة المدمر للطمأنينة والأمن فى الدنيا والآخرة .

وعلى ضوء هذه الحقائق المشهودة نفقه دلائل قول الله للذين خاطبهم بوحيه على لسان رسوله « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النــار فأنقذكم منها » . . فالعداوة أساس علاقاتهم فيما بينهم ، وقد وضعتهم هذه العداوة على شفا النار . . فلما اتبعوا ما أنزل اللــه على نبيه أبدلهم بالعداوة أخوة ، وبالجحيم الذى كانوا متهافتين عليه رحمة وسعادة ، أظلتا دنياهم وآخرتهم على السواء . ولو هم أعرضوا عن دعوة الله لاستمروا فى صراعهم الشقى حتى يخوضوا به نار جهنم ، لا ينقذهم من ذلك فكر ولا ذكر ، لان المفازة مهلكة ، ولا مندوحة فيها عن الدليل ، ولا دليل يصلح لها الا هداية خالقها المحيط علما بكل خصائصها ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .

— ٢ —

ومرت البشرية فى مراحل متآلفة مع تدرجها الفكرى . . . وكانت هداية الله مساوقة لذلك التدرج ، ففى مطلع وجودها على الارض تلقت أشارات السماء عن طريق أبيها آدم عليه السلام ملائمة لاستعدادها ، لا تكلفها فوق ما تطيق ، ثم تكاثرت وتباعدت بها المنازل ، فكانت قبائل وعشائر

ثم شعوبا وأمما ، وظل الرباط القصير هو الذى يشد كلا من أجزائها بعضا الى بعض ، وكان الوحى الالهى تبعا لذلك يخص كل فريق من الاسرة البشرية الكبيرة بمعلم يهديها سواء السبيل . ولكن الله جلت حكمته لم يشأ أن يكون هذا الوضع هو الخط النهائى لمستقبل الانسانية ، بل كان التدبير الأعلى قد قضى بان يمهد هؤلاء المنذرون لعودة القطعان المتفرقة الى الحظيرة الجامعة وهكذا أخذ العهد على كل نبى ان يذكر بأخيه ، وأخذ الميثاق على كلهم ان يبشروا أقوامهم بخاتمهم ، ويأخذوا بدورهم العهد عليهم بأن ينقلوا ذلك البلاغ الى الأجيال المتوالية ، لكيلا يكون للمخالفين عن سبيل الله حجة أو عذر فى انفصالهم عن الركب الذى ستظله راية خاتم النبيين ..

ثم هيأ الله للرسالة الخاتمة سبيل التجميع البشرى بما هدى اليه الانسان من الكشوف ، التى قربت البعيد ، وذللت العسير ، ولاقحت بين الافكار ومازجت بين المشاعر ، فاستعدت البشرية بذلك لفهم الدعوة الجامعة .. حتى اذا اقترب موعد الفجر الصادق انطلقت النذر والمبشرات تهز قلوب البقية الثابتة على عهد الله من أهل الكتاب ، فتجدد التذكير بالبشير النذير ، وتهىء الأذهان لاستقبال المنقذ العالمى ، ولم يكتف كثير منهم بالكلام ، فغادر وطنه ونعيم بيته ، ليضرب فى أكناف الارض يتوكف ظهور ذلك النور الموعود ..

ومن هنا كانت النذر تتوالى على السنة القسس والحنفاء وبقية الصالحين من أهل الكتاب وحملة العلم المستضىء بمشكاة الوحى ، تلفت الافكار الى المبعوث الذى بشر به موسى وأشعياء وداود وعيسى ، والذى تحدثت عنه أسفار الهند وفارس وتتبع مطالع فجره العديد من رواد ذلك العهد ، الذين تحملوا أقسى العنت نشدانا لذلك الخير .. فكانوا بذلك كله ترجمة حية لحاجة البشرية الى المنقذ الذى اصطفاه الله رحمة للعالمين ، وضياء للمدلجين ، وتصحيحا للادراك الانسانى حتى تتم له الرؤية الواضحة لطريقه الأمين ..

فتطلعا لميلاد هذا الفجر السعيد رابط بحيرا على سيف البادية ، يرصد مسيرة القوافل الزاحفة من أرض المبعث ، يتنسم أخباره ، ويتطلب آثاره .. (٢) ..

وشوقا الى لقاء الحبيب غامر ابن دهقان جى ــ سلمان ــ بحياته ففارق الأرائك ، وخاض المهالك ، وأسلم عنقه راضيا للرق ، رجاء الوصول الى مطلع ذلك الرسول .. (٣)

وتلهفا الى أنباء ذلك النبى المكتوب فى التوراة والانجيل ، زحف الحبر الاسرائيلى الصالح ابن الهيبان ، يجر شيخوخته الفانية ، الى قريظة والنضير وقينقاع ، يثير تطلعاتهم الى السعادة التى أوشكت ان تظلل يثرب باجنحتها الملائكية ، لئلا يسبقهم الى نصرة صاحبها المبعوث بالرحمة والحرية سابق (٤) ..

وقبل ذلك سجلت أسفار الهند أنباء تلك الرسالة ، وحددت معالمها ومواطنها ، فقرأ الهنود فى كتابهم المقدس (بهو شنيا بران) قوله فى نعت

تلك الرحمة المهداة « ان رجلا جاء فى المنام الى الملك بهوج ـ ملك السند ـ فقال له : عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء ، وهو مختون ، له كلام يسمع (٥) اصطفاه برهما ، يأكل الكبيات من اللحوم ، تظهر على يديه معجزات كثيرة ، وهو محفوظ من أعدائه ، اسمه محامد يعنى كثير الحمد » وقد طالما طالعهم هذا الاسم المكرم أحمد وأحامد ومحامد فى كتابيهم الآخرين (اثاروید) و (سام وید) (٦) حتى بات مألوفا عند أولى الحكمة من فضلائهم على مر الازمان ..

وعلى هذا القائد الرحيم ركز المسيح (عليه السلام) انظار حوارييه بهذه الصفات التى لا تدع مجالا لتطلبها فى غيره من المصلحين والمرسلين « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم (بار قليط) آخر ليثبت معكم الى الأبد .. وهو يعلمكم كل شىء ... وهو يذكركم كل ما قلته لكم .. يشهد لاجلى ، يوبخ العالم لانهم لم يؤمنوا بى .. وان لى كلاما كثيرا وانكم لستم تطيقون حمله .. واذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق .. لانه ليس يتكلم من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما سيأتى » (٧) .

فالمسيح هنا يبشر أنصاره برسول مثله ، يمتاز على جميع الرسل بان شريعته ثابتة الى الأبد لانه خاتمهم ، وانها تستوعب كل الحقائق ، وموضحة لحقيقة المسيح التى طمسها غلو النصارى وبهتان اليهود .. وفى ذلك توبيخ لكلهم أى توبيخ .. وهو روح الحق ، لانه صفوة رسل الله ، والجامع بين أتباعهم جميعا ، وهو يبلغ الحق الذى يوحى اليه مما يصحح الماضى ويوضح طريق المستقبل ..

وقبل المسيح كانت بشرى داود شاهدا لا يدفع عند كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، اذ يثير اهتمام قراء مزاميره بمثل هذه المشوقات الملهبات « غنوا لله ... أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه .. أبو اليتامى ، وقاضى الارامل ... يقضى لمساكين الشعب ... يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم ... ينجى الفقير المستغيث والمسكين ، ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف » (٨) ..

ومن حق الخليقة كلها أن تفرح وتنشد ترانيم الشكر لله على ارساله هذا الرءوف الرحيم ، الذى سيرد باسمه الى قلوبهم الهالعة ما فقدته من روح الأمن والحرية والعدالة .. وهيهات أن يجد الباحث فى تاريخ العالم انسانا يمكن ان تنطبق عليه كل هذه الصفات غير محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه ، مكرم اليتامى ومنصف المساكين ، ومنقذ البائسين وقاهر الجبارين ، ومحطم الظالمين والمستعبدين ... ومحقق الخير والعدالة للفقراء والمحرومين .

والى هذه الثمرات المباركات يشير أشعياء أيضا اذ يقول فى وصف اثر بعثته صلى الله عليه وسلم فى عالم المظلومين والمعذبين « تفرح البرية ، والارض اليابسة ، ويبتهج القفر ويزهر النرجس ... شددوا الأيدى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هو ذا الهكم . الانتقام يأتى . جزاء الله . هو يأتى يخلصكم » .

ثم ماذا ؟ ...

(حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم .. يقفز الأعرج كالابل ، ويترنم لسان الأخرس ، لانه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر ..) ..

انه انقلاب يتناول كل شىء فى تلك البوادى يهز سكانها فيطلق طاقاتهم ، ويفجر مواهبهم ، حتى يصبح رعاة الابل والغنم أهلا لسياسة الأمم ...

ثم ماذا ..

« فى مسكن الذئاب ، فى مربضها دار للقصب والبردى .. (٩) » .

أجل .. فى تلك الصحراء التى كانت حتى قبيل البعثة مرتعا لذئاب البشر ، التى لم تألف غير الفتك والبطش والخطف ، حتى لتغير على أخيها ، اذا ما لم تجد الا أخاها ، هناك تنهض منائر العلم سامقة ترسل أشعتها الى أنحاء الدنيا ، بأقلام الأمة التى لم تنطلق من ربقة الأمية الا بالاسلام ..

ثم ماذا ؟..

« وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هى لهم ... لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعد اليها .. »

انها حدود الحرمين التى حرمت على الشرك وأهله ، فهى للمؤمنين خاصة ، وكل من عداهم فهو نجس لأنه حامل لقذارة الشرك . وهناك الأمن الذى خصت به هذه الارض دون بقاع الدنيا ، فلا خوف ولا قلق ، بل من دخلها كان آمنا !! ..

ثم ماذا ؟ ما شأن هذه الطريق المقدسة ؟

« يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون — فلسطين — بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم .. ابتهاج وفرح يدركانهم ، ويهرب الحزن والتنهد .. » (١٠) ..

ومن المفديون هؤلاء ؟ .. انهم الحجاج وفود الرحمن القادمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات .. وأى وصف أليق بهم من أنهم المفديون ؟ .. أليس لكل هفوة يأتونها فدية يقدمونها طلبا لمرضاة الله .. ذبائح وصدقات وضراعات ! .. ومن ظفر بكل هذا الخير كان حقيقا بأن يعود الى أهله بترنم وفرح .. ترنم السعيد بأداء المناسك، وفرح الواثق برضوان الله ، الذى يرجو أن يكون ممن شملهم التجلى الاعلى يوم عرفة ، فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم ! .. وأشعياء عليه السلام لم يخص صهيون بالذكر لمجرد الحصر ، ولكن لينذر قومه بسلطان الرسالة الخاتمة التى ستحول جميع المؤمنين الى البيت الحرام ..

— ٣ —

ذلك الضياع الذى عانته البشرية حتى البعثة المحمدية ، والذى يمثله الحديث الصحيح الذى صدرنا به هذا البحث وتؤكده النبوات السابقة ، قد أعطى الدليل القاطع على أن طريق الانسان الى الأمن والاستقرار لن يتوفر الا فى ظل القيادات النبوية . فلا الفلسفات اليونانية ،

ولا الرياضيات الهندية ، ولا الحكمة العربية والفارسية ، كانت قادرة على ان تخفف من هول المأساة ، أو توقف التدهور العام ، اذا لم نقل انها زادت الواقع الشقى عمقا وتعقيدا . ذلك لأن العقل البشرى ليس فى طوقه ان يتحرر من عوامل البيئة وقوانين الوراثة الاجتماعية ، وبسبب من ذلك كانت تجاربه فى ميدان الاصلاح البشرى ولا تزال مجموعة من التناقضات التى تمثل تضارب المصالح . وانما تستقيم هذه الطاقة المفكرة فى طريقها الصحيح حين تسلك الى غاياتها الجادة التى تضيئها مشكاة الوحى ، الذى لا تؤثر فيه أهواء البشر ، ولا تفوته شاردة ولا واردة من اسرارهم ومؤثراتهم فاذا أصدر حكما أو قرر أمرا أو نهيا ، كان ذلك لمصلحة الانسان فردا وجماعة . فكل زيغ عن سبيله انما هو دفعة نحو الهاوية ، التى لا مخلص له منها الا بالتزام سبيله والاستعانة بدليله ..

ومن كمال حجة الله على خلقه تزويد مرسليه بصفات الكمال الذى به يحققون معانى الرسالة المنزلة ، فيكونون بذلك الأسوة الصالحة للاقتداء والانموذج المنظور للربانية فى الارض . واذ كان محمد صلى الله عليه وسلم هو امام هؤلاء المصطفين الأخيار ، الذى به وعلى يديه وبرسالته الخاتمة قدر الله ولادة الوحدة العالمية ، اذ بعثه كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ورحمة مهداة للعالمين ، لذلك ميزه بالكمالات العليا التى تؤهله لهذه الامامة ، فكان (الانسان) الأعلى الذى يحمل بتصرفاته الممتازة دلائل نبوته. وحسبه من ذلك شهادة ربه فى قوله الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » ثم أثره العجيب فى تأليف تلك الطبائع المتنافرة ، التى تولى تربيتها وتهذيبها ، فجعل من أصحابها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وتنسخ بضياء المعرفة ظلمات الجاهلية العالمية ، فأعطيت بذلك امامة الدنيا فى العلم والعدل والاحسان ، ورد الخلق الى ما أضاعوا من روابط الانسانية ، حتى لم تبق زاوية من العالم المعروف لم تستنر بشىء من أشعتهم ، بعد ان كانوا من الفرقة بحيث لا يستحقون اسم الشعب — كما أشار اليهم موسى (١١) — ومن الجاهلية المدمرة بحيث لا يرتفعون عن مستوى الذئاب الضارية — كما وصفهم أشعياء — ولا جرم أن مجرد نجاحه صلى الله عليه وسلم فى هذا الوسط الفوضوى كاف للدلالة على انه فى القمة من الحكمة ، وفى الذروة من الكمال النفسى والعقلى ، اذ استطاع بهذه المواهب اللدنية أن يملك قلوب أصحابه حتى ليؤثرونه على أنفسهم وأبنائهم ، فيتسابقون الى الموت ذيادا عن دعوته وحرصا على سلامته ، ويمتد حبه الى اتباعه على مدى الزمن ، حتى يود أحدهم لو فداه بأهله وماله (٢) وهو نوع من الحب لا تعرفه البشرية لغير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صادر من منطق الحقيقة التى عليها قام تاريخه كله ، فلا دعاية ولا طنطنة ، ولا أضاليل اعلامية تجعل من الحبة قبة ، ومن الأقزام عمالقة !! ..

— ٤ —

واليوم ، وقد تهيأ العالم الاسلامى لاستقبال ذكرى ميلاد ذلك الحبيب الاعظم ، لا بد للمفكر المؤمن من التأمل فى واقع هذه الامة وما صارت

اليه من جاهلية جديدة انقلبت فيها الاوضاع ، فضاعت فى غمارها معالم الشخصية الاسلامية التى أنشأتها تربيته المثلى لتكون الانموذج الذى لا مندوحة للامة كلها وفى تاريخها كله من اقتفاء أثره ، لتستحق ما استحقته من العزة والكرامة والعناية الالهية .

انه ينظر الى المسلمين فيراهم قد عادوا الى أسوأ ما كان عليه الجاهليون من التفكك والتنابز والتخاذل ، الا من رحم الله .. وقد انسلخ معظمهم من طابعه الأصيل ، فهو يستبدل به راضيا مزقا يستعيرها من هنا وهناك ، ليؤلف منها ما يظنه شيئا مذكورا ، وليس هو الا وهما وزورا .. حتى لكأنه صورة مجسمة لأولئك (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

وانه لينظر الى العالم البشرى من حوله فيراه نسخة من ذلك الماضى الرهيب الذى سبق فجر الاسلام . بغى فتاك يستذل به الاقوياء أعناق الضعفاء . وانحدار بالانسان الى أهول ما سجله التاريخ من مهاوى القلق والشقاء ، حتى ليقتل الاخ أخاه ، وتسحق الغوغائية العمياء أحق الخلق بمودتها ورحمتها !! ..

ويتساءل عن آثار الرسالة المنقذة فى هذا الخضم الطاغى ، فلا يكاد يسمع جوابا ، لأن اضطراب المقاييس يحول دون وضوح الرؤية . فهناك طائفة من أهل الحق لم تزلزلها الأحداث ، تهيب بالناس ليسلكوا طريق الرب ، ولكن آلافا من وسائل التضليل تحول بين صوتها وآذانهم . ثم الى جانب هذه الطائفة المجاهدة طوائف وطوائف يزعمون انهم دون غيرهم حملة الدعوة الهادية ، مع أن كل ما يملكون من فكرة عن الاسلام لا يعدو مجموعة من الاوهام ، فكأنهم لم يقرءوا كتاب الله ، ولم يسمعوا قط بسنة رسوله ، فهم من أجل ذلك لا يستطيعون أن يتصوروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرا من الناس ، ولا يكادون يصدقون انه مبعوث بالشريعة التى يجب على المؤمنين بها أن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم ليقوموا بها عوج الانسانية ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ! ..

وهكذا يرسل بصره فى اكناف الارض فلا يلمح الا ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، فيتردد بين يأس يقطع صلته بكل أمل وأمل يرفع قلبه فوق كل يأس . ثم لا يلبث أن يغلب ايمانه تردده ، فيزداد ثقة بدين الله الذى لا سبيل سواه الى الخلاص ، وقد امتلأ جنانه يقينا بان البشرية لم تكن قط أحوج الى قيادة محمد ورسالته منها فى هذه المرحلة الكالحة من تاريخ الانسان .

انه يتذكر — فى هذا الموقف المتأمل — كلمة رسول الله وهو يقدمها الى جبابرة قريش ، الذين أقبلوا يفاوضون عمه وهو على فراش الموت ، ليضع حدا بينه وبينهم ، فيقول « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » (١٢) .. وعلى الرغم من رفضهم يومئذ لتلك الكلمة ، سرعان ما جاءت الاحداث تترى بتوكيدها ، اذ لم تنقض سوى سنوات

قصيرة حتى حقق الله وعد نبيه ، فقال العرب هذه الكلمة ، مخلصين دينهم لله ، ثم انطلقوا يحملونها الى أمم الدنيا ، فاذا الارض مشرقة بنور ربها ، واذا الجميع أخوة فى ظل لا اله الا الله ، وبذلك ملك دعاة هذه القضية الالهية قلوب العرب بانقاذ الله اياهم من فوضى الفتك والبغى ، اذ كانوا اعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ودانت لهم أمم العجم اعترافا بفضلهم فى هدايتهم الى طريق ربهم فهم أحب اليهم من الصق الناس بهم ..

أجل .. انه ليتذكر هذا كله ، فلا يتمالك ان يهتف بالطائفة الظاهرة على الحق : أيها المؤمنون .. ان الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فالظلمات المتكاثفة فى حياة البشرية انما هى تعبير عن حاجتها الماسة الى كلمة التوحيد .. وتلك هى سنة الله فى بعثة الرسل وانبثاق المصلحين ، لا يظهرون الا عندما تنطمس السبل فى أعين المدلجين ، فيكون وجودهم آنذاك كاقبال الصالحين من الاطباء على البلد الذى اكتسحته الاوباء ..

أيها الهداة الثابتون على الحق ، الحافظون لأمانة الله .. تذكروا انكم الطوف الأخير فى خضم المهالك التى تحيط بالكرة الارضية .. وانكم شهداء الله على خلقه ، والمسئولون الوحيدون عن عملية الانقاذ التى تتطلع اليها أعين المكروبين .

وأخيرا لا تنسوا ان الله وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ... فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

---

(١) من حديث طويل رواه مسلم ج ١٧ ص ١٩٧ ط المطبعة المصرية ١٩٢٤ .

(٢) سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ١٣٧٥ ج ١ ص ١٨٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) نفس المصدر .

(٤) يشير بذلك الى تاثير كلامه فى نفوس المؤمنين واسراعهم الى طاعته صلى الله عليه وسلم .

(٥) عن مجلة كانتى الصادرة من دلهى عدد يوليو ١٩٦٩ بقلم ويد بركاش .

(٦) انجيل يوحنا .

(٧) مزامير ٦٨ — ٧٢ .

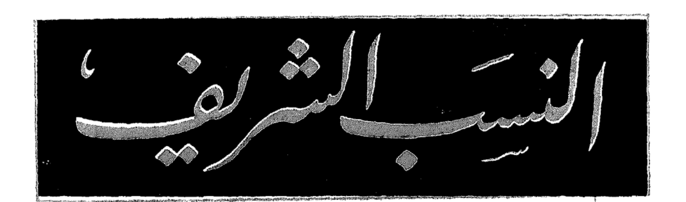
(٨) يريد بالقصب الاقلام ، والبردى ما يكتب عليه ..

(٩) أنظر أشعياء صح ٣٥ ..

(١٠) من كلام موسى عليه السلام فى سفر التثنية حيث يعرف العرب الذين اليهم ينتقل ارث النبوات بقوله عن ربه « أغيرهم بما ليس شعبا » ..

(١١) مضمون حديث شريف رواه مسلم عن أبى هريرة فى « كتاب الفضائل » ..

(١٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٧ ط الحلبى ١٣٧٥ هـ .



عدنان

معد

أنمار نزار إياد

مضر ربيعة

قيس عيلان الياس أسد ضبيعة

خندف

قمعة مدركة طابخة جديلة عنزة

عدوان غطفان سليم مازن هوازن باهلة خزيمة هذيل تميم ضبة مزينة النمر وائل عبد القيس

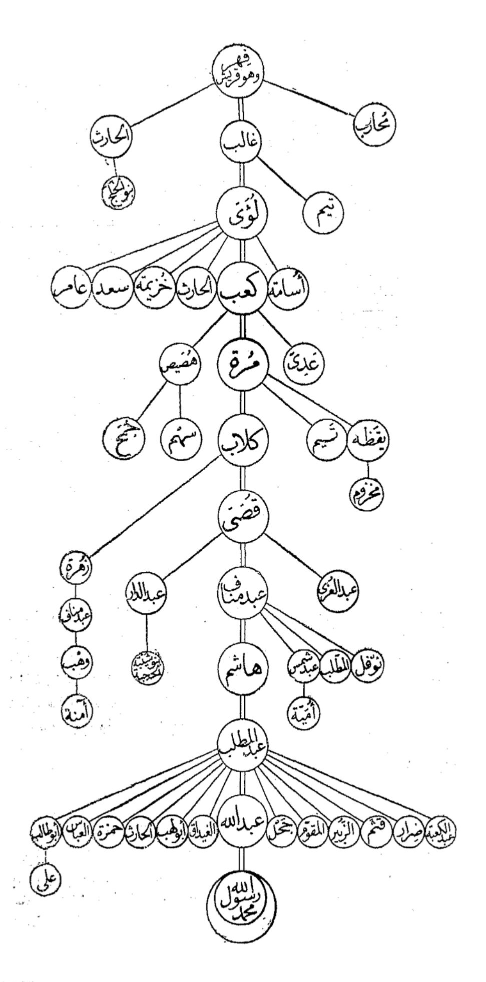
أشجع عبس ذبيان ثقيف جشم عامر بن صعصعة بنو سعد أسد كنانة الهون حنظلة بنو العنبر تغلب بكر

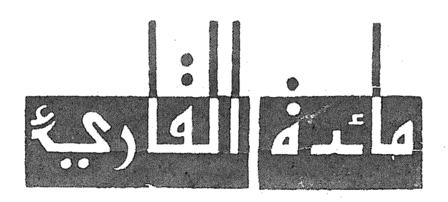
فزارة نمير عقيل هلال كلاب دودان كاهل النضر وهو قريش القارة عضل الديش يربوع حنيفة شيبان عجل

مازن بدر عامر عمرو مالك ملكان مالك عبد مناة سدوس

فهر قريش مدلج بنو بكر الحارث غفار

بنو ليث الدئل ضمرة


فهر
وهو قريش
محارب
الحارث
غالب
بنو الحارث
تيم
لؤى
أسامة
كعب
الحارث
خزيمة
سعد
عامر
عدى
مرة
هصيص
جمح
سهم
كلاب
تيم
يقظه
مخزوم
قصى
زهرة
عبد مناف
وهب
آمنة
عبد الدار
عبد مناف
عبد العزى
هاشم
عبد شمس
المطلب
نوفل
أمية
عبد المطلب
عبد الكعبة
ضرار
قثم
الزبير
المقوم
حجل
عبد الله
الغيداق
أبو لهب
الحارث
حمزة
العباس
أبو طالب
على
رسول الله محمد



« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

— صدق الله العظيم —

صفة رسول الله

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو قال :

قرأت فى التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم : « محمد رسول الله ، عبدى ، ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ، ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العرجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله » . .

القرض الرابح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة » قال صحابى يسمى أبا لدحداح : أو يستقرض الله من عباده يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال أمدد يا رسول الله يدك فأشهده انه تصدق ببستانه الذى لا يملك غيره ، وكان فيه سبعمائة نخلة مثمرة ، ثم عاد الى زوجه ، وكانت تقيم مع أولادها فى البستان ، فأخبرها بما صنع ، وغادرت هى وأولادها البستان وهى تقول له : ربح البيع يا أبالدحداح .

الوقف الأول

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قال أبو طلحة الأنصارى : يا رسول الله ان احب أموالى الى بير بير جاء — وهى بئر طيبة الماء — وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام « بخ . بخ . ذاك مال رابح . حبس الأصل وسبل التمر .

مريض يختبر الأطباء

زار دمشق عام ٨٣١ هـ رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق ، فلما دخل المستشفى النورى ، ونظر الى كثرة أطبائه أراد أن يختبرهم فتمارض ، وأقام به ثلاثة أيام ، ورئيس الأطباء يتردد عليه ليختبر مرضه ، فلما جس نبضه علم أنه غير مريض ، وانما أراد اختيار الأطباء فوصف له الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه : ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة يقول فيها : ان الضيافة عندنا ثلاثة أيام فعرف الأعجمى أنهم فطنوا لحيلته .

فيلسوف المجانين

كانت حركات البهلول ومنظره يغرى الأطفال بالضحك عليه والصياح وراءه ، ورميه بالحجارة ، وكان يقابل ذلك منهم بالعطف والشفقة ، وقد رموه مرة فأدموه فقال :

حسبى الله توكلت عليه ونواصى الخلق طرا بيديه
ليس للهارب فى مهربه أبدا من روحة الا اليه
رب رام لى بأحجار الأذى لم أجد بدا من العطف عليه

حب الدنانير

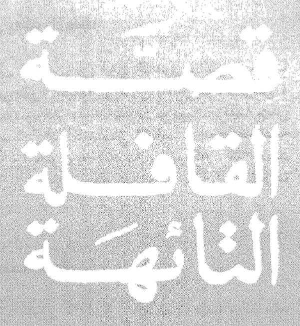
طلب الرشيد من البهلول أن يدعو له ، فقال :

يا أمير المؤمنين اسأل الله ان يرزقك ، ويوسع رزقك ، فضحك الرشيد ، وقال : آمين ، فلما مر بهلول بالحاجب صفعه ، وقال أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون ؟ ، فقال بهلول له : اسكت يا مجنون ، فما فى الدنيا أحب الى أمير المؤمنين من الدنانير ، فبلغ ذلك الرشيد ، فضحك ، وقال ، والله ما كذب .

مستشفيات متنقلة

كتب الوزير عيسى بن على الجراح الى سنان بن ثابت ، وكان يتولى النظر على مستشفيات بغداد وغيرها :

فكرت فيمن بالسواد (القرى) وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء فتقدم بايفاد متطببين (أطباء) وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم . ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره . وقد بلغ بعض المستشفيات المتنقلة فى أيام السلطان محمود السلجوقى حدا من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملا .



مع دليلها الأمين محمد

للدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

لا يعنينى أن أتحدث ، فى هذه الكلمة ، عن مظاهر العظمة فى حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن ألفت النظر الى نواحى بطولته ، ولا أن أفيض فى مقومات عبقريته . فقد تجرد للبحث فى كل ذلك كثير من الكاتبين ، حتى أنساهم الخوض فيه ذكر ما يتعلق بنبوته ورسالته

والكثير من هؤلاء الكاتبين أجانب أو أشياع لهم ، فعلوا ذلك عن عمد وسابق تخطيط ، ابتغوا منه اقامة ستر كثيف يحجب عن الناس أبرز سماته وأخطر ما ينبغى أن يفهموه من حياته ، وهو أنه رسول أوحى اليه بشرع من قبل الله عز وجل ليبلغه الناس جميعا .

والبعض القليل منهم فعلوا ذلك بسائق من حب المدح والثناء ، وبتأثير من بساطة فى الفكر وطيب فى القلب . فقد غاب عنهم أن دعاة الغزو الفكرى لا يبالون أن تحشى أدمغة الناس بمظاهر بطولة النبى عليه الصلاة والسلام ، ودلائل عظمته وعبقريته ، على أن يشغلهم ذلك عما بينه وبين الله تعالى من صفة النبوة ، وعما بينه وبين الناس من صفة الرسالة ، وعلى أن يقصيهم ذلك عن التنبه الى المسؤولية الخطيرة العظمى التى تركها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم بعد أن بلغهم الرسالة وأدى اليهم الأمانة .. !!
وغاب عن هؤلاء البعض ، أن التاريخ قد أحصى أسماء كثيرة من العباقرة والأبطال والعظماء . طويت عبقريتهم وبطولاتهم بطى الزمن ومروره . اذ كان كل ذلك ثمرة عصورهم التى كانوا فيها ، فلما ولت تلك العصور ولت معها جميع ثمارها وأعراضها ، وانما عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصبح فى حسابهم من هذا القبيل : كان أعظم مخلوق .. وأذكى انسان .. وأروع قائد .. فلما أدبر العصر الذى كان فيه أدبر كل ذلك معه ، ولم يبق من واجب الناس نحوه بعد ذلك الا أن يكونوا أمناء على ذكرى تلك الخصائص والصفات ، يتحدثون عنها بألسنتهم ثم يدونونها فى كتاباتهم ، لا تربطهم — وراء ذلك — برسول الله عليه الصلاة والسلام أى رابطة ولا ينهضون بأى مسؤولية !! ..
فمن أجل ذلك لا يعنينى أن أتحدث عن شىء من هـذا كله رغم ايمانى الكامل به .

عليه الصلاة والسلام

ولكن الذى يعنينى ، وينبغى أن يعنى القراء جميعا ، هو التنبه الى مصدر ذلك كله وأساسه ... ان الذى يعنينى هو أن أتساءل مع القارىء :
أرأيت الى قافلة تقطع طريقا فى مفازة لم ترها من قبل ، ولا علم لها بطبيعتها وموقعها ، وفيما هى حائرة فى السبيل ، اذ طلع عليها رجل أخبرها أنها ان سلكت ذات اليمين انتهت بسلام الى غايتها التى تبحث عنها، وان سلكت ذات الشمال وقعت فى مهلكة لا نجاة منها ، وقدم الرجل بين يدى بيانه هذا براهين العلم والأمانة والصدق .. أرأيت لو أنها تشاغلت عن اتباع نصيحته ودلالته ، بالحديث عن ألمعيته وذكائه ووصف علمه وبالغ وفائه ، ثم ركبت رأسها — وهى تتغنى بذلك كله — وراحت تخوض فى طريق الضلال والهلاك ؟ !! ..
تلك هى قصة القافلة الانسانية التائهة ، مع دليلها الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، اذ أرسله الله تعالى اليها على فترة من الرسل ، يبشر وينذر ، ويعرف الانسان على هويته وسر وجوده ومنتهى أمره ، واضعا أمامه الشرعة التى ارتضاها له قيوم السموات والارض ، محذرا اياه من التحول عنها ذات اليمين أو ذات الشمال ، مبلغا اياه خطاب الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .
فأما صفوة من عباده فقد استمعوا الى هذا البيان بعقول حرة ، واستقبلوه بنفوس متفتحة لم تعقدها العصبية ولم تؤثر فيها العقد والأهواء فأدركوا الحق واستيقنوه ، وعلموا قيمة الدنيا التى من حولهم وحقيقة الآخرة التى تنتظرهم .. ثم اتجهوا بسلوكهم الى السبيل التى خطها لهم

القرآن ، وشرحها لهم نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وباعوا فى سبيل ذلك النفس والنفيس .
سخر منهم المارقون ، واستحمقهم الجاهلون ، فكان جوابهم : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين طاف بهم الضر ، وانحط فيهم الأذى ، وأصابتهم المحنة ، فكان ردهم على ذلك كله — مع الصبر الجميل — « ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » ..

تألبت عليهم جيوش البغى ، وأحدقت بهم قوى الطغيان ، وقيل لهم : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

لم يبالوا أن رأوا أنفسهم غرباء فى الطريق التى يقتفون فيها خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد تفرق الناس عنهم الى متاهات متعرجة ، وارتضوا أن يعيشوا غرباء .. لأنها من غربة التبر ، بين التراب الأغبر ، وندرة الماس وسط الفحم الأسود !! ..

فماذا كانت عاقبة الأذى الذى تحملوه ، والمحنة التى عاشوا فى أوارها ، والغربة التى خاضوا غمارها ؟ لقد ملكهم الله عز وجل ناصية الدهر ، وأورثهم عز الدنيا ، وأخضع لهم تيجان الملوك ، وصدق فيهم قوله جل جلاله « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

وأما طائفة أخرى جاءت على أعقابهم ، فقد طاب لهم أن يستغنوا عن الاتباع ، بالتقريظ والثناء . سمعوا آيات الله عز وجل فقالوا : ما أجل وأروع .. ! ثم راحوا يجملون به حديثهم ، ويدبجون به محافلهم ويزينون بفقرات منه جدرانهم .. !

وسمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحياته وأخلاقه ، فقالوا : عبقرى فذ .. ! وعظيم مدهش .. ! ومصلح قل نظيره . ! ثم انحطوا ينحدرون فى الطريق التى حذرهم منها وأنذرهم عقباها ، وهم يواصلون التغنى بعظمته والتفنن فى وصف عبقريته .

وانتهى بهم المنحدر الى طرائق تائهة متباعدة ، تفرقت فى شعابها جماعات كانت بالأمس أمة واحدة فاستذلها البغى ، وأحاط بها الهوان ، وقد كانت فيما مضى تؤدب البغى وأهله ، وتنشر العدل فى الناس ، وتفرق منها أمم الأرض .. !!

والعجيب أنها — مع ذلك كله — لا تعالج هذا البلاء الا بمزيد من بضاعة التقريظ والكلام ، الى مزيد من الانغماس فى بضاعة اللهو وفنون الأهواء .. !!

فاذا قام فيها من يتصح أو يحذر كان جواب أحسنهم حالا : سيغفر الله لنا !! وسبحان من وصف حال هؤلاء بقوله « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » .

يا قارئى الكريم :
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلب يوما ما الى أحد من

أصحابه أن يبايعه على التنويه بعظمته ، والاشادة بعبقريته ، والحديث عن بطولاته وسياسته . ولو قصد الى ذلك لنسج حول نفسه مظاهر ذلك كله أثناء حياته .

ولكنه بايع الناس على أن يؤمنوا بالله وحده ، فيرفعوا دعائم أحكامه ، وينهجوا منهج العبودية لسلطانه ، ويسيروا الى ذلك كله فى طريق من المحنة والابتلاء والمشقة والعناء .

ولم يقم من واسطة فيما بينه وبينهم لتحقيق ذلك كله الا ايمانهم برسالته ، وبأنه نبى يوحى اليه بحكم وشرع من الله عز وجل فهو يبلغهم اياه فى أمانة ودقة وصدق .

فأى نسب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن نطوى عنا مبادىء هذه البيعة ، ونبعد عن حياتنا ما تنطوى عليه من شرعة ومبادىء وأخلاق ، ثم نقتفى خطى أولئك المنهجيين من أرباب الغزو الفكرى فى اختلاق نسب آخر بيننا وبينه من مجرد التقريظ لسيرته والثناء على خلقه ؟ !

العل لوثة الغرب ، من الكفران بنبوته ، قد أصابت أفئدتنا أيضا ، فمن أجل ذلك ننهج نهجهم ونردد كلامهم ؟ !

ولكن الذى ساق الغرب الى ذلك الكفران انما هو دوافع من العصبية وعوامل من ردود الفعل ، لها أسبابها التاريخية فى نفوسهم ، فما هو سائق ذلك فى عقولنا أو فى نفوسنا نحن المسلمين ؟ !

لقد قالوا : ان ظاهرة الوحى فى حياته صلى الله عليه وسلم لم تكن أكثر من اشراق والهام انبثق من داخل نفسه ، ولم تكن خبرا الهيا جاءه من خارج كيانه . !!

وقد علموا أن الالهامات النفسية لا تسبب اصفرارا فى الوجه ، ولا ارتعادا فى الفرائص ، ولا تشعريرة فى الجسد ولا كائنا يأتيه اليه ولا بحثا عن الالهام الداخلى فى شواهق الجبال .

فان أنكروا تلبس النبى صلى الله عليه وسلم بكل ذلك ، فينبغى أن ينكروا ظاهرة الوحى من أساسها ، ولا يتعبوا أنفسهم بأى تفسير لها ، فان الوثيقة التاريخية التى اثبتت لهم هذه الظاهرة فى حياته ، هى نفسها التى تحدث عن تلبسه بذلك كله .

وقالوا : انها فكرة انعكست الى شعوره من واقع ما كان يتطلع اليه قومه من ارادة التغيير والثورة على الوثنية والشرك والنزوع الى التوحيد . . !!!

ولقد علموا أن الوثنية ، بكل ما معها وما يتبعها ، لم تعم فى عصر من عصور الجزيرة العربية . كما عمت فى الفترة التى بعث فيها محمد عليه الصلاة والسلام .

ولم يكن ذاك الذى يظهر على السنة بعضهم من كلمات التوحيد والسخرية بالأوثان وعبادتها ، الا بقايا لمع خاطفة من الحنيفية الحقة التى

كان قد بعث بها أبو الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكانت هـذه البقايا تذوى وتضعف مع الزمن . ويقل انصارها ما بين سنة وأخرى ، منذ أن ادخل عمرو بن لحى الخزاعى الأوثان وعبادتها فى الجزيرة العربية .

وقد كان المقتضى اذا ــ حسب تصور هؤلاء ــ أن تكون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم قبل العصر الذى بعث فيه بعدة قرون واجيال ، اذ كانت نزعة التوحيد حينئذ اتم واقوى ، وكانت دلائل الثورة على الشرك والوثنية أشد وأبين .

ثم اين هؤلاء الذين انسجمت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مطامحهم وآمالهم وما كان يعتلج فى نفوسهم من دواعى الثورة عـلى الوثنية والشرك ؟ ! العلهم اولئك الذين لم يألوا جهدا فى تسفيهه وابذائه والسخرية منه ومن دعوته ، حتى اضطر ان يهاجر من بينهم بعد محاولة طويلة دامت ثلاثة عشر عاما لم يأت وراءها بأى ثمرة من اصحاب هـذه المطامح والآمال المتفتقة ــ فيما زعموا ــ مع دعوته .

وقالوا ايضا : انما كان محمد « صلى الله عليه وسلم » رجلا ينبض فى عرقه دم الزعامة ، فهو يبتغى من وراء دعوته السعى اليها !! . .

ونحن نبحث طويلا ، فلا ندرى متى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعيه الى تلك الزعامة التى كان ينشدها !! . . .

العله انتهى اليها يوم أن جاءه عتبة بن ربيعة مفاوضا من قبل قريش ، فعرض عليه المال والزعامة والملك والنساء . . على أن يتخلى عن تسفيه افكارهم ودعوتهم الى التوحيد والايمان بالله وحكمه ، فأبى ذلك كله ، وقال لهم أخيرا « ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وامرنى أن أكون بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على اصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم .

أم لعله انتهى الى هذه الزعامة يوم كان يشترك مـع المئات مـن أصحابه فى حفر الخندق ، وقد تكاثف التراب على جلدة بطنه وانحاء جسمه، حتى ما يعرف شكله ، ورآه جابر ــ فيما يرويه الشيخان ــ يهوى بمطرقته على صخرة عاتية فى الخندق ، وقد شد صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع ، وكان قد مرت ثلاثة أيام لم يذق هو واكثـر اصحابـه مذاقا . . !!

ام لعله انتهى الى الزعامة يوم أن اكتشفها عدى بن حاتم ، عندما اقبل اليه من الشام ، وهو يقـول فى نفسه : ان كان ملكا أو كاذبا لم يخف على ، وان كان صادقا اتبعته ، فانطلق به رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى بيته ، فلقيته فى الطريق امراة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، فقال فى نفسه والله ما هذا بملك ، ثم مضى به الى بيته ، واذا هو أرض مترية خالية عن أى شىء يستند اليه الجنب ،

الا وسادة من جلد محشوة ليفا فقذفها صلى الله عليه وسلم اليه ليجلس عليها ، وقعد هو متربعا على الأرض ، فقال في نفسه ، والله ما هـذا بأمر ملك .

أم لعله وصل الى هذه الزعامة يوم أن احتشد من حوله الآلاف فى حجة الوداع فاتجة اليهم قائلا : لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى مثل هذا الموقف أبدا ، ثم راح يلخص لهم مبادىء الاسلام وأحكامه ، وينهى اليهم توصياته الأخيرة ، وختم خطابه قائلا : ـــ

وانكم ستسألون عنى ، فما انتم قائلون ؟

قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت .. فاطمأن الحبيب الأعظم، وشعشع الرضا فى عينيه ونظر بهما الى الأعلى مشيرا بسبابته الى السماء ثم يشير بها الى الناس قائلا : اللهم اشهد .. اللهم اشهد .

أم لعله قد وصل الى الزعامة يوم أن نزل به مرض الموت ، فوقف فى اصحابه يقول : عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، ثم انقلب الى بيته يعانى من برحاء المـوت عـلى حشية من الجلد والليف ، لا يعثر الجنب منه على راحة أو نعيم ، وليس من القوت المدخر فيه الا شطر من الشعير قد وضع على رف .. !!

وغشيته سكرة الموت وهو يرفع الستر ينظر الى صفوف المصلين من اصحابه فى المسجد ، يطمئن بذلك الى انه يتركهم وهو متلبسون بالحق الذى أرشدهم اليه ، وغالب ذلك المشهد الذى رآه آلام الموت السارية فى جسده حتى غلبها ، فاستغرق فى ابتسامة راضية اغمض عينيه على أثرها ، ولحق بالرفيق الأعلى .

تلك هى مراحل حياته عليه الصلاة والسلام ، فعند اى مرحلة منها وصل أودنا الى الزعامة التي كان يبتغيها ؟!!

الجواب: ان العصبية العمياء لا تعرف منطق هذه الأسئلة ولا الجواب عليها ، وانما هى تعرف شيئا واحدا ، هو ضرورة الوصول الى الغاية المرسومة من أى طريق .. !!

وللعصبية والعقد النفسية وردود الفعل أسبابها التاريخية القديمة ـــ كما قلنا ـــ عند هؤلاء الغربيين ومن لف لفهم ، فالكيدللحق الذى بعث به محمد عليه الصلاة والسلام ، داخل فى تركيبهم النفسى وجوهــر كيانهم ، ولكن ما هى عوامل هذه العصبية ذاتها عند طائفة من المسلمين انفسهم ؟!

اى خير تتوقع ـــ وانت مسلم حر التأمل والتفكير ـــ من التلبيس فى حقائق هذا الدين واخفاء غاشية من اللبس والغموض المصطنعين عـلى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

بـل مـا الـــذى تخشـى أن يستفيـــده رســـول اللـــه من ايمانك بنبوته ، وبأنه ، ليس الا أمينا على شرع كلفه اللـه بابـلاغه الناس جميعا ، حتى لا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ثم من سعيك لتطبيق هذا الشرع ؟ !

أتريد أن تعلم الجواب ؟

أبعد عن نفسك قليلا ضجيج الشهوات والأهواء ، ونداء البيئة والتقاليد ، وتشويش العقد النفسية وصراخ الكبر والعصبية ، ثم اصغ جيدا الى صوت العقل وحده ، وهو ينبعث من أعماق كيانك حرا متجردا فتسمع منه الجواب المقلق الخطير .. !!

ان الذى يستفيد أو يتضرر انما هو أنت وحدك ، وان بعثة الأنبياء ما كانت الا لتعرف هويتك وتنتبه الى مصيرك .. ! مصير مذهل عجيب ، شاءت ارادة الله أن يكون الآن محجوبا عنك فى غيبة المكنون ، لا تبصره عيناك ولا يقع تحت حسك الا عندما تحيق بك سكرة الموت ، وترتدّ متفرقة عنك جميع وساوسك النفسية ودوافعك العصبية . عندئذ تتجرد الحقيقة وحدها ماثلة أمام عينيك ، ويغدو بصرك حديدا فى رؤيتها والايمان بها ولكن الايمان عندئذ لا يغنى ولا يفيد ..

فمن أجل التهيوء لذلك المصير والتصديق بتلك الحقيقة ، أرسل الله انبياءه الى الأمم تترى ، يبلغون .. وينذرون ويحذرون ... وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة هؤلاء المبلغين والمنذرين من قبل الله عز وجل .

فأى فائدة تجنيها العصبية ، أو اضمار التحايل والكيد ، والمصير واحد ومحتوم ، والسفينة تجرى ، والنهاية موشكة .. ؟ ! ..

يا من تقومون وتقعدون بالحديث عن ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتريدون أن تعلنوا بذلك أن بينكم وبينه نسبا موصولا ؟ .. اذا فانظروا الى الطريق التى سار فيها ، يعانى المحنة ويستعذب المر . !!

انه اليوم طريق غريب موحش ! .. قلماتجد فيه غاديا أو رائحا .. !

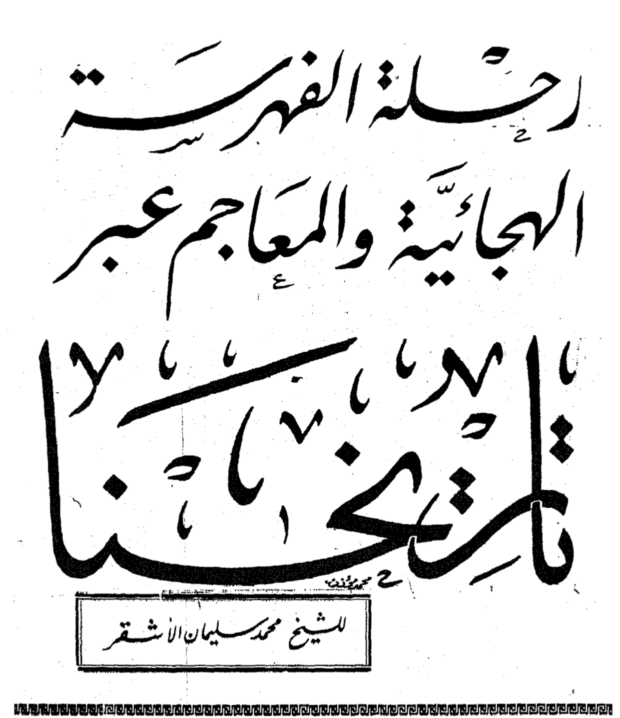
اذا كنتم تفتخرون بهذا النسب ، فعفروا أقدامكم قليلا فى الطريق التى دميت فيها قدما رسول الله .. اصبروا على شىء من المحنة التى عاش فى غمارها رسول الله .. تحملوا بعض الغربة التى ارتدى جلبابها راضيا رسول الله ..

اعيدوا صرح المجتمع الذى شاده لكم رسول الله عقيدة وخلقا وتشريعا ، فقوضته المعاول تحللا وميوعة وكفرانا .. !!

ان فعلتم ذلك ، فبينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب موصول ، وأنتم اخوانه الذين تشوق الى رؤيتهم يوم أن قال وقد توسط البقيع ، وددت أنى قد رأيت اخواننا ، فقال بعض من كان معه ، ألسنا اخوانك يا رسول الله ؟ ! قال بل أنتم أصحابى ، واخوانى الذين لم يلحقوا بعد . وأنا فرط لهم على الحوض ...

أما أولئك الذين يمعنون فى التبديل والتغيير ، فقد قال عنهم عليه الصلاة والسلام فى آخر هذا الحديث الصحيح نفسه ؟

الا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال ، اناديهم الا هلم الا هلم . فيقال : انهم قد بدلوا بعدك فأقول : فسحقا ، فسحقا ، فسحقا .



جانب مشرق من جوانب تاريخنا الاسلامى وحضارتنا العتيدة يبرز عند الكشف عما صنعه الاجداد فى مجال التعجيم والفهرسة . لقد استخدمت الفهارس والمعاجم على نطاق واسع في شتي انواع المعرفة . واستغلت كوسائل فعالة في تسهيل الوصول الى المعلومات المطلوبة . استغلالا ادى الى نشر الثقافة وتنميتها .

اولا ــ المعاجم الهجائية

المعاجم :

أما المعاجم فنستطيع أن نفخر بأنه كان لدينا في القرن الثاني الهجرى

(الثامن الميلادي) معجم هجائي على درجة عالية من الجودة ، هو معجم (العين) ، في متن اللغة للخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) .
وأما في القرن الثالث الهجري فلدينا معجم في أسماء رجال الحديث للامام محمد اسماعيل البخاري مرتب ترتيبا جيدا ، ولا يزال مستعملا واسمه (التاريخ الكبير) .

اما في القرن الرابع الهجري وما بعده فقد وجدت معاجم هجائية لمتن اللغة والاعلام وغيرها لا تزال تؤدي دورها كمراجع في موضوعها سهلة الاستعمال بالاضافة الى احتوائها على معلومات ذات قيمة فائقة . كما أنها غطت نواحي مختلفة من المعرفة فمنها في اللغة وفي التراجم بصفة عامة ، او في أعلام فن معين كالاطباء ، والفلاسفة ، والنحويين ،واللغويين، والمحدثين ، والسياسيين ، أو في موضوعات معينة كالصيدلة والأدوية او الحيوان أو البلدان أو غير ذلك .

وسوف نستعرض الجهود المبذولة في ذلك بشيء من التفصيل .
ان المعاجم اما أن تكون مختصة في حدود موضوع معين كمتن اللغة او التراجم ، أو البلدان ، مثلا ، وأما أن تكون عامة شاملة لكل نواحي المعرفة .

دوائر المعارف العامة :

اما المعاجم العامة فلها اسم خاص هو (دوائر المعارف العامة) او (الموسوعات العامة) ولا أعرف في الحضارة الاسلامية قبل العصر الحاضر كتابا يصح أن يوصف بأنه (دائرة معارف عامة) ومرتبا على الحروف ما عدا كتابين أولهما هو المسمى بـ (كشاف اصطلاحات الفنون) لمؤلفه محمد بن علي التهانوي الهندي ، ذكر في مقدمته أنه فرغ من تسويده سنة ١١٥٨ هـ استعرض فيه المصطلحات في جميع العلوم التي كانت في عصره وذكر معنى كل مصطلح وشيئا قليلا من المعلومات عنه . الا ان جل غايته كانت منصرفة الى تعريف المصطلح وقد نشر كتابه بعنوان (كشاف اصطلاحات العلوم الاسلامية) .

والثاني (الكليات) تأليف ابي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (١٠٩٥ هـ) وقد جمع فيه معلومات كثيرة متنوعة تحت عناوين ، ثم رتب المعلومات بحسب الترتيب الهجائي لتلك العناوين الا ان ترتيبه جاء قاصرا ومعلوماته مبتسرة .
أما في العصر الحاضر فقد جرت محاولات لتأليف دوائر معارف عامة منها ما عمله محمد فريد وجدي وسماه (دائرة معارف القرن الرابع عشر — العشرين) في عشرة مجلدات .
ومنها دائرة معارف البستاني ، باشر اعدادها المعلم بطرس البستاني وأصدر منها ستة مجلدات من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ م ثم تابع أبناؤه نشرها الى أن صدر الجزء الحادي عشر منها منتهيا بلفظ (عثمانية) ويعاد الآن

نشرها بادارة فؤاد أفرام البستانى بصورة متقنة وممتازة وصدر منها المجلد السابع منتهيا بلفظ (أخيليا) من حرف الهمزة .

المعاجم المتخصصة :

أما المعاجم المتخصصة فهى التى تختص بنوع معين من المعرفة كالتراجم مثلا . ثم ان بعضها قد يكون اكثر تخصصا من الآخر فبينما نجد معاجم للتراجم بصفة اذ بنا نجد معاجم لتراجم اللغويين ، أو لتراجم النحويين من اللغويين ، أو لتراجم البصريين من النحويين من اللغويين . فتفاوت درجات التخصص بحسب هدف واضع المعجم .

ولا يمكننا أن نحصر عدد المعاجم المختصة المؤلفة بالعربية ، ولكن نذكر أمثلة مما اطلعنا عليه منها على سبيل الايجاز مع محاولة حصر اتجاهاتها العامة ضمن البنود التالية :

(١) معاجم أسماء الكتب والمؤلفات والفنون : منها

١ ــ « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لمؤلفه الحاج خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى ، المتوفى ١٠٦٧ هـ استعرض فيه أسماء الفنون فى الحضارة الاسلامية واسماء الكتب المؤلفة فى ذلك بتسلسل هجائى واحد شامل للفنون والكتب جميعا . وهو كتاب واف فى موضوعه وترتيبه جيد . وذيل عليه اسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادى (ــ ١٣٣٩ هـ) بمجلد ضخم وقد تم طبعهما سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م فى ثلاثة مجلدات .

٢ ــ المعاجم الاسلامية العامة :

لم يؤلف فى هذا الموضوع قديما فى ما أعلم ، وقد قام لفيف من المستشرقين فى هذا القرن بتأليف (دائرة المعارف الاسلامية) شاملة لموجزات عن المعلومات التى كانت متوفرة لهم عن كل نواحى الحضارة الاسلامية . ونشرت باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية . وصدر من ترجمتها العربية بمصر الى حرف (الطاء) بتعليقات من المختصين بالشؤون الاسلامية كشفت عن مدى جهل بعض كتابها أو تجنبهم لذكر الحقائق قصدا مع انه لا يسعنا الا الاعتراف بعظمة العمل فى ذاته .

والآن يعاد اصدار الطبعات الأوروبية بمزيد من التوسع .

وصدر بمصر من (القاموس الاسلامى) ، للأستاذ أحمد عطية ، مجلدان . وهو مختصر يقتصر على التعريف بمصطلحات الفكر الاسلامى ومعالم الحضارة الاسلامية وتراجم المشهورين انتهى فيهما الى حرف الراء .

٣ ــ معاجم القرآن وعلومه :

لم تؤلف معاجم لفظية أو معنوية للقرآن فى ما أعلم قبل العصر الحديث اما فى هذا العصر فقد صدر (تفصيل آيات القرآن) للمستشرق جول لا بوم وقد ترجمه الى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله . وهو جمع حسن غير انه قاصر فى التفاصيل . ولسنا بحاجة الى أن نشير الى بعض الاعمال الجامعة فى هذا الميدان التى اخرجت مرتبة على الابواب

لأن بحثنا منصب على المعاجم (المرتبة على حروف المعجم) .
فعلى هذا يكون هذا الميدان بكرا . ولعل الله يوفق احدى المؤسسات أو الافراد للقيام بعمل (معجم قرآنى) شامل لكل المعلومات القرآنية .

٤ ـــ معاجم الحديث النبوى

لقد كان نشاط المحدثين فى دراسة الحديث وتدوينه وترتيبه نشاطا قويا وواسعا فبالاضافة الى منجزاتهم فى ترتيب الأعلام سلكوا فى ترتيب الاحاديث سبلا كثيرة اذ رتبوا الاحاديث على انواع مختلفة من الترتيب ، فمنهم من رتبها على أبواب الفقه ، ومنهم من رتبها على أسماء الـــراوة ورتب اسماء الـــرواة حسب الافضليـــة أو حسب حـــروف الهجـــاء ، ومنهم من رتبها على اوائل حروفها ، أو على مواضيعها ، وجعل المواضيع بترتيب معجمى .

والذي يعنينا من ذلك هو الانواع الثلاثة الاخيرة .

أ) فمما رتبت فيه الاحاديث بترتيب « الفبائى » باعتبار اسماء الرواة (المعجم الكبير) للطبرانى سليمان بن احمد (٣٦٠ هـ) .
ب) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أوائل حروفها (جمع الجوامع) للسيوطى قصد فيه جمع الاحاديث النبوية القولية بأسرهـــا على حروف المعجم . وله أيضا (الجامع الصغير) وهو مطبوع متداول ويحسن أن لا تخلو منه مكتبة أى دارس للاسلام .
ج) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أحرف الهجاء لموضوعاتهـــا . كتاب (كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال) للشيخ علاء الدين على المتقى (٨٨٨ ـــ ٩٧٥ هـ) ثم عاد فاختصر كتابه مع المحافظة على ترتيبه وسماه (منتخب كنز العمال) . وهو مثال حسن [illegible]
وهو أكثر تفصيلا وأحسن ترتيبا من سابقه (جامع الأصول من أحاديـــث الرسول) لابن الأثير الجـــزرى . الا ان الميدان لا يزال مفتوحا ولا يزال الحديث النبوى بحاجة الى معجم تفصيلى . فالى المهتمين بتيسير الســـنة النبوية للمؤمنين والدارسين أسوق هذه الرغبة راجيا أن يوفق منهم مـــن ينهض لاداء هذه المهمة .

٥ ـــ المعاجم الفقهية :

لا أعرف أن معجما للفقه الاسلامى برز الى عالم الوجود قبل صدور (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) الذى أصدرته سنة ١٣٨٥ هـ لجنة موسوعة الفقه الاسلامى بجامعة دمشق . فكان بداية حسنة يرجى أن تتلوها خطوات أكثر تقدما فى هذا الميدان الفسيح .
وقد صدرت أيضا بمصر مؤخرا ستة أجزاء من (موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى) من حرف الألف ، مرتبة للموضوعات الفقهية على حروف الهجاء . وترتيبها حسن الا انه يظهر أنه سيكون فيها تـــكرار كثير يضخم محتوياتها نظرا لتكرار الموضوع الواحد فى مواضع مختلفـــة بحسب أوجهه المختلفة (أنظر موضوعي ابن ، وأب ، لترى كيف تكررت

بعض الاحكام كعصمة الابن باسلام أبيه جـ٢ ص ١٤٩ ، ٢٣١ ، وكذلـك وجوب انفاق الأب على أبنائه) ويظهر انه ينبغي للقائمين عليها اعادة النظر فى منهج الترتيب فيها . ولديهم امكانية استخدام نظام الاحالات .

وتقوم لجنة (الموسوعة الفقهية) بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت بالتحضير لاصدار موسوعة فقهية وقد أصدرت (موضوعين) فى طبعة تمهيدية يراد بها تلقى ملاحظات القراء المختصين وتوجيهاتهم للخروج بموسوعة مستكملة من حيث الشكل والمضمون . وليـت القائميـن على الموسوعتين يوفقون لتنسيق العمل بينهما بطريقة تؤدى الى تيسير الفقه الاسلامى تيسيرا كاملا باستخدام الأساليب العلمية المتطورة فى هــذا المجال .

وقد قامت لجنة موسوعة الفقه الاسلامى بتهيئة معجم للفقه الحنبلى كان لى مشاركة فى مراجعة مادته وترتيبه ويرجى أن يصدر قريبا ان شاء اللـه .

٦ ــ معاجم الأدب واللغة :

أما المعاجم الأدبية المتخصصة فلا اعرف منها شيئا يستحق الذكر واما معاجم اللغة فانها من مفاخرنا . والبحث فيها له مكان آخر

٧ ــ المعاجم العلمية :

فى تراثنا من معاجم العلوم بأنواعها الشىء الكثير ، فمنها :

أ) فى علم الحيوان كتاب (حياة الحيوان) لكمـال الدين الدميرى محمد بن موسى (ــ ٨٠٨ هـ) يذكر فيه كل حيوان باسمه الخاص ثم يبحث في الاسم بحثا لغويا ثم يذكر أوصاف الحيوان وطباعه وخواصه وخواص أجزائه [illegible] الطبية والعلاجية وبعض الأخبار الأدبية التي لها صلة بذلك الحيوان ، الا انه لم يراع في الترتيب غير الحرف الاول وهـو مطبوع متداول .

ب) فى الاغذية والادوية والعقاقير ونحوها ألف ابن البيطار عبـد الله بن أحمد الاندلسى كتأبه (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) بأمـر الملك الصالح نجم الدين أيوب استوعب فيه ذكر الادوية والاغذية المفردة التى كانت مستعملة لزمانه . وذكر أقوال الاطباء فيها ورتبه على حروف المعجم مراعيا الحرفين الاول والثانى فقط .

٨ ــ معاجم البلدان والامكنة والبقاع :

الف فى هذا النوع أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الاندلسى (ــ ٤٨٧ هـ) كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البــلاد والمواضيـع) ومعجمه مرتب على حروف الهجاء على طريقة المغاربة ، وراعى فى الترتيب الحرف الاول والثانى فقط ، ولذلك أعاد ناشره (مصطفى السقا) ترتيبه . وليته تركه على وضعه الاول ليكون نموذجا لذلك النوع من الترتيـب . والذى أفضله لكل كتاب من الكتب القديمة التـى تنشر أن لا يخـل ناشره بترتيبه الذي وضعه عليه مؤلفه وان يكتفي بالفهرسة المتقنة ما لم يقصـد ان يضع الكتاب وضعا جديدا بتهذيبه أو ضم معلومات أخرى اليه .

والف في هذا النوع ايضا ياقوت الحموى الرومى كتابه (معجم البلدان) وهو كتاب قيم في بابه . لم يؤلف بعده ما يوازيه .

٩ ـ معاجم الاعلام :

لقد كان نشاط العلماء المسلمين فى مجال معاجم الاعلام نشاطا واسعا ومنوعا ، فمن معاجم لاعلام طائفة معينة كالصحابة ، او المحدثين او الاطباء او الادباء او الشعراء او اللغويين ، او النحاة ، او المؤلفين ، او النساء الى معاجم لاعلام مدينة معينة كاعلام بغداد ، او دمشق ، الى معاجم لاعلام قرن معين ، او عهد معين ، الى معاجم عامة شاملة لكل نوع وكثير من ذلك مشهور ونكتفى بذكر معجم عام للاعلام هو (الوافى بالوفيات) لخليل بن ايبك الصفدى (ــ ٧٦٤ هـ) ويشتمل على ١٤٠٠٠ ترجمة . وآخر حديث هو كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلى وهو من خير ما الف فى موضوعه .

ان حاجتنا الى متابعة خطا اسلافنا فى هذا المجال حاجة حقيقية وعلينا ان نهىء لكل صنف من اصناف العلوم معجما ينبع من القديم ويستمد من الحديث ويواكب التطور الفنى والعلمى .

وان من المؤسف أن تعتمد جامعاتنا الاسلامية فى معلوماتها الاسلامية على دائرة معارف (اسلامية) وضعها غير المسلمين ممن لم يفقه الاسلام حق فقهه . وان لذلك تأثيره الذى تبين فى النتاج الفكرى لناشئتنا الاسلامية فليت احدى وزارات الشؤون الدينية التربيوية او الجامعات الاسلامية فى اقطارنا الكثيرة تتولى وضع دائرة معارف اسلامية لتكون روحها اسلامية .

واننا بحاجة الى دائرة معارف متخصصة في كل فن ، فى اللغة ، وفى الأدب ، وفى التاريخ ، وفى الطب والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات والجيولوجيا . وان دوائر المعارف المتخصصة هذه تخدم دائرة معارف عامة بلادنا بأشد الحاجة اليها لتسهيل الطريق على المشتغلين بصناعة المعرفة للوصول الى المعلومات عن (كل شىء) .

ثانيا ـ الفهارس الهجائيــة

أما فى مجال الفهرسة الهجائية فاننا نجد فى تراثنا نماذج قليلة من ذلك . ولعل السبب فى قلتها ان الشأن فى الفهرسة أن تعزى المسألة المعينة الى صفحة ذات رقم معين من الكتاب . ولا يكون لهذا فائدة ذات قيمة للجمهور ما لم تكن نسخ الكتاب موحدة فى أرقام صفحاتها . ولذلك كانت نهضة صناعة الفهرسة لاحقة لنهوض الطباعة اذ أن الطباعة تخرج مجموعة كبيرة من نسخ الكتاب موحدة الصفحات بخلاف الكتابة اليدوية .

ولكن مع ذلك فقد ذكر الشيخ احمد محمد شاكر (مفتاح كنوز السنة ــ المقدمة) أنه يمكن اعتبار كتب أطراف الحديث فهارس . واطراف الحديث كتب تجمع أحاديث كل صحابي وحده وترتب أسماء الصحابة على الحروف ثم يبين موضع كل حديث بـ (عزوه) الى أبواب كل كتاب من كتب الحديث . وفي المكتبة الاسلامية عدد لا بأس به من كتب هذا الفن . وقد طبع

منها مؤخرا كتاب (الاطراف) للمزى يوسف بن عبد الرحمن (ـــ ٧٤٢ هـ) .
كما أن هناك فهارس (مصنفة) اى على الابواب ، نجدها لعلمائنا فى كثير من كتبهم .
اما بعد انتشار الطباعة فى البلاد الاسلامية فقد زودت كثير من الكتب والمجلات بفهارس الا ان هذا الفن عندنا لا يزال قاصرا عن بلوغ المستوى الكافى ليكون مفاتيح لكنوز الثقافة الاسلامية .
واشير هنا الى فهارس ذات قيمة للباحثين لا اقصد بذكرها الحصر ولكن اقصد ذكرها كنماذج .

١ ـــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : وضعه محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله وهو افضل ما الف من فهارس القرآن اللفظية .
وما زلنا بحاجة الى فهرس هجائى مستوف (لموضوعات) القرآن .
وانى لأنظر ايضا الى الوقت الذى يلحق فيه بكل نسخة من نسخ الكتاب الكريم فهرس موضوعى هجائى موجز يعين القارئين لكتاب الله .
٢ ـــ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى : وهو فهرس هجائى لفظى من مستوى رفيع ذو قيمة لا تحد لكل من له صلة بالحديث النبوى . وهو ذو قيمة للمعتنين بتاريخ دلالة الالفاظ . وقد فهرست فيه الكتب التسعة الرئيسية من كتب السنة رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين باشراف المستشرق (فنسنك) بجامعة ليدن . وقد تم اصداره حديثا فى سبعة مجلدات ضخمة .
وقد وضع المستشرق فنسنك نفسه فهرسا (موضوعيا) مختصرا لكتب الحديث ترجمه محمد فؤاد عبد الباقى بعنوان (مفتاح كنوز السنة) وهو مطبوع متداول .
٣ ـــ فى مجال فهرسة كتب الفقه الاسلامى صدر حديثا فهرس هجائى لحاشية ابن عابدين لأحمد مهدى الخضر .
وصدر حديثا ايضا فهرس لكتاب المغنى فى فقه الحنابلة تمت بتحضيره واعاننى الله على اكماله ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت .
٤ ـــ فهرس كتاب (الاغانى) لأبى الفرج الاصبهانى صنعه احد المستشرقين وترجمه محمد مسعود وطبعه الحاج محمد الساسى بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

٥ ـــ فى مجال فهرسة المجلات والصحافة دأبت بعض المجلات العربية على الحاق فهارس هجائية موضوعية بآخر مجلداتها السنوية كما صنعت ذلك مجلة المنار ومجلة الازهر غير انى لا أعلم مجلة عربية أصدرت فهرسا هجائيا يغطى اكثر من سنة واحدة ، فى حين أنه مما ييسر على الباحثين أن تصدر المجلة فهرسا لها كل خمس سنوات أو عشر سنوات وايسر منه أن تصدر المجلة فهرسا لعدد اكبر من السنوات . بل ان بالامكان اصدار فهرس عام موحد لمجموعة من المجلات التى تشترك فى اتجاه معين .
وهنا اثنى عنان القلم وكلى رجاء الى الله سبحانه ان ياخذ بأيدى العاملين لنفع الأمة الاسلامية وسائر البشرية فيما يوسع ميدان المعرفة وينير آفاقها انه العليم الحكيم .

كيف ترقى رقيك الأنبياء

كيف ترقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ　　يا سماءً ما طاولَتْها سماءُ
لمْ يُساوُوك فى علاكَ وقدْ حا　　لَ سنًا منك دونَهم وسناءُ
انما مثَّلُوا صفاتِك للنا　　س كما مثَّلَ النجومَ الماءُ
أنتَ مصباحُ كلِّ فضلٍ فما تصـ　　ـدُرُ الا عن ضوئِكَ الأضواءُ
لكَ ذاتُ العلوم من عالِمِ الغيـ　　ـبِ ومنها لآدمَ الأسماءُ
لم تزلْ في ضمائِر الكون تُختَا　　رُ لكَ الأمهاتُ والآباءُ
ما مضتْ فترةٌ من الرُّسْلِ الا　　بَشَّرتَ قومَها بكَ الأنبياءُ
تتباهى بكَ العصورُ وتسمو　　بكَ علياءُ بعدَها علياءُ
وبَدا لِلوجودِ منك كريمٌ　　من كريمٍ آباؤُه كُرَماءُ
نسبٌ تحسِبُ العُلاَ بحُلاَهُ　　قَلَدَّتْهَا نجومَها الجوزاءُ
حبذا عِقدُ سُؤْدُدٍ وفخارٍ　　أنتَ فيه اليتيمة العصماءُ

للإمام البوصيري

وُمحيًّا كالشمس منكَ مضيءٌ أسفرَتْ عنه ليلةٌ غـرّاءُ

ليلةُ المولدِ الذى كان للدِّين سـرورٌ بيومِهِ وازدِهـاءُ

وتَوالتْ بُشْرَى الهواتفِ ان قدْ وُلدَ المصطفى وُحقَّ الهنَاءُ

وتَداعى ايوانُ كِسرى ولوْلا آيةٌ منكَ ماتداعى البنـاء

وغَـدَا كلُّ بيتِ نارٍ وفيـهِ كُربةٌ مِن خمودِها وبـلاءُ

وعيونٌ للفرسِ غارتْ فهل كا نَ لنيرانِهِمْ بِها إطفـاء

مَولدٌ كان منهُ فِي طَالعِ الكـفْرِ وبالٌ عليهمُ ووبـاء

فهنيئًـا له لآمنـةَ الفضـلُ الذى شُرِّفتْ به حـوّاء

مَنْ لحواء انها حملتْ أحمـد أو إنهـا بـه نُفَسَـاء

يومَ نالت بوضعهِ ابنةُ وَهْبٍ من فَخَارٍ مالم تنلْه النِّساء

وأتَتْ قومَها بأفضلَ مِمَّا حملتْ قبلُ مريمُ العـذراء

شَمَّتَتْهُ الأَملاكُ إذ وضعتْه وشفَتْنَا بقولهـا الشَّفَّاء

رافعًا رأسـه وفي ذلك الرفـعِ الى كل سُؤْدُدٍ إيمـاء

رَامقًا طرْفُه السماءَ ومرمَى عين من شَأْنُهُ العلُوُّ العَلاءُ

وتَدلَّتْ زُهْر النجومِ إليهِ فَأَضَاءتْ بِضوئِهـا الأرجـاء

الشفاء : قابلة النبي أم عبد الرحمن بن عوف



ذهب الركب الصغير وعاد .. كان قليل العدد حقا بين ركب غفير .

وفرق كبير بين ذهابه وعودته .. فى ذهابه تأسى عليه الآخرون ، وضحكوا منه ساخرين ، وتندروا عليه ليكسبوا رحلتهم ترفيها يسهل عليهم أمر الطريق وفكاهة تهون على قلوبهن مشقته .. أما فى عودتهم فهالهم ما وجدوه عليه من تغير ، وعلتهم الدهشة ودارت فى نفوسهم نسمات الغيرة أحيانا ، وأحيانا عدم التصديق لما يرون اذا لم يرجعوه الى فعل سحر عظيم .

كان الركب الكبير ركب المراضع من نساء البادية .. يذهبن بين الوقت والآخر يلتمسن الأطفال حديثى الولادة يرضعنهم ، ويكسبن لقاء لبنهن ما يحييهن حتى يرزقن فى العام القادم بأطفال جدد .. وكان الامهات وخاصة نساء الاشراف والسادة من قاطنى مكة يلقين بأولادهن الى هؤلاء المراضع ويغدقن عليهن من الاجر والمكافأة وفضل العطاء بمقدار ما يتناسب مع ما طبعت عليه نفوسهن ونفوس أزواجهن من كرم وسماحة وحب للخير .

وارضاع أولاد الاشراف فى مكة من نساء البادية لم يكن بدعا .. بل كان احدى عاداتهم أن يبعثوا بأطفالهم الذكور يعيشون فى أحضان مراضعهم من نساء البادية لاعتقادهم أن جو البادية فيه حرية ونقاء وهواءها المتجدد الصحيح أحسن أثرا فى نموهم الجسمي والفكرى ويطلق لسانهم فى اللغة ويطبع حياتهم من أولها على الشجاعة والفروسية والشعر والحرية وقوة القلب وعلو الهمة ..

والمراضع ــ شأن كل تاجر يبيع بضاعته ــ يسعين الي ما يزيد



كسبهن .. فكن يبحثن اول ما يبحثن عن ذوى الغنى واليسار من الآباء طمعا فيما يمكن أن يجرى عليهن من بر واعطيات ..

* * *

جد ركب المراضع في سيره .. وكل منهن تطمع أن يكون فى المجهول خير لها .. فترزق رضيعا ثرى الأب غنى الاهل .. مما يضفى عليها الوفير من الخير والنعمة وكل منهن تضحك .. وفى ذهنها أن تقضى رحلتها ضاحكة حتى تواجه رزقها المرجو وهى مستبشرة فيكون من السعة بما يرضى خاطرها ويريح نفسها .

وناهيك عن ركب من نساء يسافرن الى مكة كي يرضعن أبناءها .. كيف يكون ؟ مهما تكن حالة بؤسه .. فقد زاد هذا البؤس على ركب صغير بينهم مكون من امرأة هى حليمة بنت الحارث ، وزوجها وطفل لهما رضيع .. قدموا مع الآخرين الى مكة من بادية بنى سعد .. وحالتهم من دون الركب تدل على شدة الفقر والجدب .. حليمة بادية الضعف والهزال ، وزوجها ظاهر البؤس والفاقة وطفلهما لا يكف عن الصراخ ولا ينقطع عن أنين الجوع .. لا تكاد حمارتها الهزيلة تحملها من شدة ضعفها ، ولا فرق بين ضعفها وهزال ناقة زوجها .

* * *

بينما ذلك الركب يسير فى فيافى الصحراء كانت مكة ما تزال تحتفل بفرحة نصرها على أصحاب الفيل وقائدهم أبرهة .. ويردد أهلها صيحات الفرح والسرور لذلك النصر الحاسم الذى حفظ أم القرى من دمـــــار أكيد .. وينشد شعراء القوم أشعارهم ويحدون بها الناس فى أرجـــاء مــــكة :

فتنكلوا عن بطن مكة انهـــــا كانت قديما لا يرام حريمهـــــا
سائل امير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ســـتون الفا لم يؤوبوا ارضهم بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

وكان فى بيت من بيوت مكة .. يجلس هناك عبد المطلب بن عبـــد مناف .. ينتظـــر ما ستلده زوجة ابنـــه الفقيد عبد الله . . ويفكـــر فيما سترزقه به الاقدار من هذا الحمل الذى اوشك أن يلمس الارض بين لحظة واخرى .

واخذت تدور براسه أفكار كثيرة .. وتزدحم فيه بشارات لخـــير قادم اليه رآها فى أشياء كثيرة وبشارات رواها له ناس من قبل .. والحت عليه ذكرى ذلك اللقاء بينه وبين (سيف بن ذى يزن) عنـــدما ذهب اليه عبد المطلب فى صنعاء على رأس وفد من قريش لتهنئتـــــه بانتصاره على الحبشة واحتفى به سيف بن ذى يزن وقربه فى مجلســـه وأدناه اليه ثم اختلى به وقال له :

ــ يا عبد المطلب .. انى مفض اليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به ، ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره .. انى أجد فى الكتاب المكنـــون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خيرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فاهتز قلب عبد المطلب ورد عليه فى تساؤل ملكته الدهشة :
ــ أيها الملك .. مثلك سر وبر فما هو ؟ فداؤك أهل الوبر زمـــــرا بعد زمـــر ..
قال له الملك وأنظاره الى السماء كأنما يقرأ فى كتاب يراه فى أجواز الفضاء :

ــ اذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت لــــه الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ..

فمرر عبد المطلب أصابعه فى لحيته وتفكر برهة ثم قال للملك سيف ابن ذى يزن :
أبيت اللعن .. لقد أبت بخير ما آب به وافد ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته اياى ما أزداد به سرورا .
فرد عليه الملك وهو لا يزال محلقا فى سماء الخيال :

ــ هذا حينه الذى يولد فيه .. اسمه محمد يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم

الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران بعبد الرحمن ويدمر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله ..

وما ان انتهى شريط هذه الذكرى من رأس عبد المطلب حتى دخلت عليه من تبشره بمولود جديد .. وتستدعيه الى (الوالدة) آمنة بنت وهب .. فلما جاءها رأى سحابة قد أظلت حجرتها فجعل يمسح عينيه ويقول :

أنا نائم أم يقظان ؟

وفتحوا له الباب .. فاذا المسك يعبق المكان وتفوح رائحته العطرة من أركان الحجرة فاستخبرها فقالت :

ـــ يا أبا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب ..

فذعر عبد المطلب وقال :

ـــ أليس بشرا سويا ؟

فقالت :

ـــ نعم .. ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وسبابته الى السماء فقال :

ـــ دعينى انظر اليه ..

وحمله بين يديه ، وذهب به الى الكعبة ، وشكر الله على انعامه ، وعوذه ودعا له وأخذ يطوف بالكعبة وهو ينشد :

الحمد لله الذى أعطانى	**هذا الغلام الطيب الأردان**
قد ساد فى المهد على الغلمان	**أعيذه بالبيت ذى الأركان**
من فاسد مضطرب العيان	**حتى أراه بالغ البنيان**

كان مولودا عظيما .. تنبأ لمولده العارفون .. وجاءت بشارات مولده العظيم نورا وسرورا لجده وأمه .. ونصرا لقومه على أصحاب الفيل وللعالم كله خيرا فى خير .. هو من دون الآخرين للحياة فتح مبين ..

ولدته أمه آمنة بنت وهب فى عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول .. وكان حملها له غير حمل النساء لابنائهن .. كان يسرا وسهولة ونورا مشرقا .. قالت آمنة :

ـــ لقد حملت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ..

وكانت تحضر ولادته زوجة أبى العاص فقالت :

ـــ لقد شهدت ولادة آمنة ليلة ولدته فما شىء أنظره فى البيت الا نور .. ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو حتى لقد خشيت أن يقضى على .

• • •

فرحت به أسرته رغم عدم وجود أبيه .. وظل فى حجر أمه بضعة أيام .. كان ركب المرضعات خلالها وصل الى مكة .. وأخذت نساؤه يجبن الطرقات وتدق أيديهن بيت الوالدات ومروا جميعا ببيت آمنة ولم

يغرهم ما سمعوه عن نور مولده .. فهم يريدون أهل الغنى حتى يأخذوا من غناهم مالا وفيرا وأجرا كبيرا ..

وحليمة .. مرت بذلك البيت هي الاخرى .. وكانت نظرتها نحو الوليد وفقر أهله ويتمه مثل صاحباتها : فمالت عنه مثلهن ، وأخذت تدور على البيوت الاخرى وراءهن ..

وانتهت الدورة .. وخرجت كل مرضعة بما أثلج صدرها وأرضى شوقها فيما تمنت وأرادت .. الا حليمة لم تجد من ذلك شيئا فعادت لزوجها عند أطراف مكة وحيدة خفيفة من أى شيء تحمله .. فقال لها :
ـ ما بالك يا حليمة قد عدت من دون الصاحبات صفر اليدين ؟
قالت فى أسى :
ـ حظى اليوم كان نكدا ..
ـ وكيف ذلك ؟
ـ ما وجدت سوى طفل فقير يتيم ، وليس له الا جده وأمه ..
ـ ورغبت عنه ؟
ـ ما عسى أن يصنع لنا جده وأمه وحالنا كما تعلم فى هذه السنة القاحلة ..

فاصاب الرجل صمت ، ودارت فى خاطره شدة عيشهم . وزوجته بجانبه صامتة أيضا لكنها تفكر فى شيء غير حالهما .. انها تفكر فى الوليد اليتيم الذى زهدت فيه وتركته ، ووجدت فى نفسها شيئا مبهما يدفع بها لان تعود اليه فربما لا يكون أخذه أحد .. فنهضت وقالت لزوجها :
ـ اننى والله ما زلت مشفقة على هذا اليتيم مذ رأيته ، وما زالت نفسى تراودنى أن أعود اليه فآخذه ..
ـ هكذا ؟
ـ أى والله .. هكذا
فنظر الزوج حواليه .. ثم رد الطرف الى ناقته وحماره وزوجته ثم طفلهما .. وقال لزوجته فى هدوء واستسلام :
ـ وما علينا اذا أخذناه يا حليمة .. فلأن ترجعى ومعك هذا اليتيم خير من أن ترجعى من دون الرفيقات صفر اليدين ..
فقالت وهى من تفكيرها شبه حالمة :
ـ انى والله به عالقة ..
واشرق فى قلب الرجل نور وقال :
ـ اذهبى اليه فخذيه لعله يكون لنا بركة ..

• • •

غذت حليمة سيرها واجنحة من الشوق تحملها فوق الثرى .. حتى جاءت بيت آمنة ، واستقبلها عبد المطلب باسما وقال لها :
ـ من أنت ؟
فقالت :
ـ امرأة من بني سعد ..

فسألها من جديد :
ــ وما اسمك ؟
فقالت :
ــ حليمة ..
فزادت بسمته اتساعا ، وتلألأ الاستبشار على وجهه وقال :
ــ بخ بخ .. سعد وحلم .. خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد ..
ولم تكد حليمة تتناول محمدا حتى وضعته في حجرها وضمته الى صدرها ضم الظامىء الملهوف ووضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ونظر اليها وخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء .. ولكنها بهتت وزادت دهشتها عندما وجدت ثدييها يحفلان بلبن كثير بعد جدب واعسار .. فرضع حتى امتلأ .. وكذلك ابنها رضع هو الآخر حتى امتلأ ..
وعادت بالوليد اليتيم الى موقع اقامتها في حدود مكة وهي فرحة لما فاض عليها من رزق في ثدييها بعد وشك الجفاف ، وحكت لزوجها مالا يمكن أن يتصوره : أن رضع اليتيم حتى شبع ، ورضع ابنهما حتى شبع .. وما زال ثدياها مثقلين بما يحملان والرجل يعجب لما يسمع وتتملكه الحيرة في ارجاع ما تقول حليمة الى سبب ..

• • •

ظل هذا الركب الصغير تحت خيمته يستظل بها حتى يحين موعد العودة .. واشتد الجوع بحليمة وزوجها .. وأرهقهما العطش . . . وضيق الحر انفاسهما وليس هناك ما يطمئنه .. فالناقة جافة الضرع كمهدهما بها .. لا تلين الا كل وقت ووقت وبين الوقتين مدى طويل .. لكن الأمل في استمرار الحياة دفع به أن يضع يده على ضرع الناقة .. ربما .. وما مسه بيده الا ودر اللبن منه درا غزيرا .. فشرب هو وزوجته ما شاء لهما الرى حتى شبعا ولم يعد عندهما مكان لزيادة ..
نظرت حليمة لزوجها ونظر زوجها اليها .. كلتا النظرتين كانت واحدة .. تقول من الدهشة والتعجب :
ــ ما هذا ؟
وقال الزوج سريعا يرد على قلبه المتسائل وعلى نظرة زوجته التى تحمل نفس السؤال المندهش :
ــ يا حليمة .. لقد ــ والله ــ حصلنا على نسمة مباركة .. الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه .. فلم يزل الله يزيدنا خيرا ..
واقبلا على (محمد) يقبلانه ويضمانه في حنانهما الغامر وينظران الى وجهه فيشرق نوره الوضىء في قلبيهما .. ويضفى على فؤاديهما راحة كبيرة وطمأنينة فياضة .. واخذت هى ترقب ذلك الوليد الذى باركها وتقول :

يا رب اذ اعطيته فابقه   واعله الى العلا وارقه
وادحض اباطيل العدا بحقه

• • •

غادر الركب حدود مكة .. وسار عائدا برضيعه الى مقامه فى بادية بنى سعد وقامت حليمة الى حمارتها البيضاء فركبتها ومحمد على صدرها .. وقام زوجها الى ناقته فامتطى فوق سنامها وابنه الرضيع معه .. واندفعا بالراحلتين الهزيلتين ليلحقا بالركب الذى سبق وأمعن فى السير على طريق العودة ..

قنع هذا الركب الصغير المتخلف براحلتيه الهزيلتين وآمن انه سيعود وحيدا بعد أن يكون الركب الكبير قد وصل الى أرضه وقضى وقتا طويلا من الراحة والاستقرار ..

ولكن — ويا للعجب — فهذا الركب قد حصل على نسمة مباركة .. فما هو الا أن وجد الركب راحلتيه وقد استبدلتا بالضعف قوة وبالهزال عافية ونضارة وبالتأخر فى المسير تقدما وبالتريث فى الخطو اسراعا .. حتى لحقا بالرواحل السابقة وأصبحت حليمة تزاحم سابقاتها حتى خلفتهن وراءها .. فأخذن يتضاحكن ولا يصدقن ما رأين فقلن :

— ارفقى بنا يا ابنة أبى ذؤيب .. اهذه اتانك العرجاء التى كنت تركبينها فى الغدو ..

فترد عليهن حليمة ضاحكة مستبشرة :
— هى العرجاء .. انها والله هى ..

فيملؤهن العجب .. وينبو الامر بهن عن التصديق الا لو أرجعنه الى سحر عظيم .. ويقلن فى نفوسهن :
— حقا .. انه لشىء عجيب ..
— لا والله .. ان لها لشأنا ..

* * *

عادت حليمة الى أرضها بكسب كبير — كانت رفضته أول الامر .. ولكن رفق الله بها وبمن أراد أن يصنعه على عينه ، وان يحمله رسالته لهداية الخلق — من عليها وأشفق به .. فعادت وحملته فى ذراعيها .. فكثر لبنها بعد اقلال واشبعه مع ابنها بعد أن لم يكن يكفى ابنها .. وامتلأ ضرع ناقتها بالغذاء بعد أن كانت وزوجها يتضوران من الجوع أوقاتا طويلة حتى تحن الناقة .. ويكرمهما ضرعها بجرعات ممعنة من القلة ..

ونظرت حليمة .. فوجدت أن الخير أقبل عليها من كل ناحية .. والبركة تحل عندها فى كل شىء .. حتى أغنامها تخرج الى المراعى مع أغنام غيرها فتعود أغنامها ممتلئات الضروع ريانة العود .. ويظن الناس أن أغنامها ترعى فى المراعى الخصيبة وأغنامهم ترعى فى المراعى القاحلة ..

ولكن .. لم يظن احد منهم مطلقا .. أنها عادت من رحلتها الى مكة بالبركة .. تحمل رسول الخير والبر .. الى الوجود كله ..

* * *



حكم الصلاة فى النعال

هل يجوز للمسلم دخول المسجد ونعلاه فى قدميه والصلاة بهما فى كل وقت ؟

يجيب على هذا السؤال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

فى صحيح البخارى عن سعيد بن زيد الأزدى قال : سألت انس بن مالك : « أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ؟ قال : نعم » وقال الحافظ فى الفتح : هو محمول كما قال ابن بطال على ما اذا لم يكن فيهما نجاسة والصلاة فى النعال من الرخص لا من المستحبات كما ذكره ابن دقيق العيد لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة .

وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « انه صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف (أى من الصلاة) قال لهم : لم خلعتم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال : ان جبريل أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا بولا أو غائطا ، فاذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما ، فان رأى خبثا فليمسحه بالارض ثم ليصل فيهما » (رواه أحمد وابو داود) .

وقال النووى فى المجموع بعد أن أورد هذا الحديث : انه يؤخذ منه جواز المشى فى المسجد بالنعل ، وأن الصلاة فى النعال الطاهرة جائزة أهـ.

ونقل الشوكانى عن صاحب منتقى الأخبار أنه يؤخذ من هذا الحديث أن ذلك النعال يجزىء ، وأن الصلاة فى النعلين لا تكره ـ ا هـ .

وقال انه يؤخذ منه ايضا جواز المشى فى المسجد بالنعل ـ اهـ .

وقد ورد مرفوعا : خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم فيفيد استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة ، فاذا كان أهل الكتاب اليوم يصلون فى النعال فلا استحباب فى صلاتنا بالنعال ، ويبقى انها رخصة فقط مقيدة بالطهارة من النجاسة ، فيجوز لمن تحقق خلو نعليه منها ان يصلى بهما فى المسجد وغيره ما شاء من الفرائض والنوافل .

ولا يصح اعتقاد عدم جواز الصلاة فى النعال بعد ثبوت الجواز عن الشارع ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى مرة بغير نعال واخرى بنعال طاهرة .

غير ان الجائز شرعا يستوي فيه طرفا الفعل والترك ، ورخصة الجواز يجوز العمل بها ويجوز تركها ، ولنا مع اعتقاد الجواز وبيانه ان نرجح أحد

الجائزين على الآخر بما يقتضيه ظرف الزمان وظرف المكان . وأهل الكتاب عامة يصلون الآن فى معابدهم بالنعال والأحذية فنخالفهم فى ذلك .

ولا شك ان المساجد اليوم من حيث الفرش والنظافة غيرها فى العهود السابقة ، والطرق غير الطرق ، فاذا رجحنا للعامة الذين لا يقفون عند الحدود ولا يفقهون مواقع القيود الدخول فى المساجد والصلاة فيها بغير النعال لم نجاوز فى ذلك اصلا شرعيا ، والله اعلم .

فى التسمية

هل يجوز شرعا التسمية بعبد النبى ؟

عيسى المطيرى ــ الكويت

الاجابــة :

لا يجوز شرعا التسمية بعبد النبى خشية اعتقاد العبودية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أن بعض الصحابة كان اسمه قبل الاسلام عبد العزى فسماه الرسول بعد الاسلام عبد الرحمن ، وتكرر ذلك لعدد منهم .

الوضوء فى المسبح

هل يجوز ان أتوضأ فى المسبح (الحمام) مع العلم بأن فيه المحل المعــد لقضاء الحاجة ، ولا يتيسر لى الوضوء فى غيره .

داود الشاغورى ــ الكويت

الاجابــة :

يجوز الوضوء فى هذا المسبح مع وجوب التحرز عن النجاسة ، ومن الأدب الذى يجب الأخذ به تعظيم ذكر الله تعالى وأسمائه فلا تذكر فى مواضع قضاء الحاجة .

فى الميــراث

توفيت امرأة عن أختين شقيقتين ، وعن أولاد بنت ، وعن أولاد عم أشقاء ذكور واناث فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث ..

عيسى حمــدان ــ بيروت

الاجابــة :

للأختين الشقيقتين الثلثان فرضا ، والباقى للذكور من أولاد العم تعصيبا ، وأما أولاد البنت فلا شىء لهم .

في الوضوء

سافر جماعة فى الصحراء وعندهم بعض المـاء للشرب ، فأراد احـد المسافرين أن يتوضأ من هذا الماء فمنعه اخوانه من ذلك فما الحكم الشرعى

مطير السداوى ـ الكويت

الاجابـة :

اذا كان الماء محتاجا اليه فى أمر ضرورى كشرب حيوان محترم : فـلا يجوز استعماله فى الوضوء ، والواجب التيمم .

صلاة المراة فى المسجد

ما هو الأفضل للمراة اتصلى فى المسجد أم فى بيتها ؟

س.ا ـ البصرة

الاجابـة : يجوز للمراة ان تصلى فى المسجد بشرط أن تكون مستـورة العورة مأمونة الفتنة وصلاتها فى بيتها أفضل .

تكرار الفاتحة

ما حكم صلاة من يكرر قراءة الفاتحة فى الركعة الواحدة وهل هذا مبطل للصلاة .

عز الدين اسماعيل ـ البحرين

الاجابـة : لا تبطل الصلاة بتكرار قراءة الفاتحة فى الركعة ولكنه خـلاف السنة .

التماثيـل

جاء فى القرآن الكريم ان سيدنا سليمان كانت الجن تصنع له التماثيل ، فهل يجوز ذلك عند المسلمين ؟

هشام الدباغ ـ سوريا

الاجابـة : تمثيل غير ذى الروح لا يمنع منه الشرع ، أما تمثيل ذى الروح فهو حرام ، وعلى فرض ان تمثيل ذى الروح كان جائزاً فى شرع سليمان عليه السلام ، فان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا .

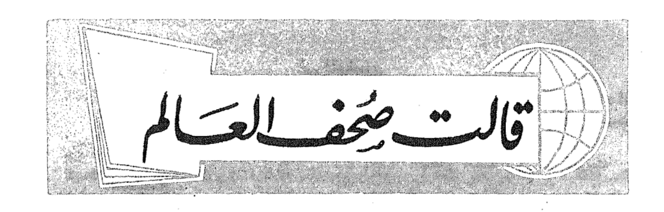
حكم الاجهاض

هل يجوز شرعا اجهاض من حملت سفاحا ؟

زايد ن.ع ـ دبى

الاجابـة :

الجنين فى نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على من زنت وكانت حاملا حتى وضعت ، وفى رواية حتى مضى زمن بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون مجرد كونـه من زنا موجبا لاسقاطه .



من صفات الرسول

نشرت مجلة لواء الاسلام القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

جاء فى الحديث القدسى ان الله تبارك وتعالى قد قال فى التوراة عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : »

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، انت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا اله الا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » .

رواه البخارى .

يروى فى مناسبة هذا الحديث أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قرأ قوله تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. » ثم ذكر أن هذه الآية التى وردت فى القرآن الكريم قد جاء مثلها فى التوراة ، ثم ذكر الحديث كما سبق .

ويروى أن عطاء بن يسار لقى عبد الله بن عمرو فقال له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فقال عبد الله : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، ثم ذكر الحديث . وكان عبد الله بن عمرو قد قرأ التوراة وعرف ما فيها ، ولذلك أتجه اليه عطاء بالسؤال .

« شاهدا » : الشاهد هو الحاضر ، والشهيد صيغة مبالغة من المادة ، وجاء فى حديث على عن النبى « وشهيدك يوم الدين » أى شاهدك على أمتك يوم القيامة » . والمعنى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يشهد يوم القيامة عند الله تعالى لأمته التى تابعته بأنها صدقته ، وعملت بدعوته ، ويشهد على الكافرين بأنهم كذبوا وأعرضوا .

ولقد ورد فى سورة الأحزاب قوله تعالى : « يا أيها النبى أنا أرسلناك شاهدا » وجاء فى سورة الفتح : « انا أرسلناك شاهدا » وفى سورة المزمل : « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا » .

« ومبشرا » : البشرى هى الخبر السار الذى تنبسط له بشرة الانسان ، والمعنى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشر المؤمنين بالجنة . والمبشر والبشير بمعنى .

« ونذيرا » : الانذار هو الاعلام مع تخويف وتحذير ، يقال : انذرته انذارا اذا أعلمته وحذرته ، والمنذر أو النذير هو المخوف والمحذر ، والذى يخبر القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره . وفى صفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه انه : « كان اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم » وفى شأن صفتى « المبشر والنذير » جاء قوله تعالى فى سورة البقرة : « انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » وفى سورة الأعراف : « ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . وفى سورة هود : « الا تعبدوا الا اياه اننى لكم منه نذير وبشير » . وفى سورة الاسراء : « وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا » . وفى سورة سبأ : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

« وحرزا » : الحرز هو الحصن ، وتقول : احرزت الشىء اذا حفظته وضممته اليك وصنته عن الأخذ ، وفى حديث الدعاء : « اللهم اجعلنا فى حرز حارز » أى كهف منيع .

« للأميين » : الأميون جمع أمى ، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وقيل انه الذى لا يكتب وان قرأ ، والمراد هنا بالأميين هم العرب ، لأنهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون وفى الحديث : « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وفيه أيضا : « بعثت الى أمة أمية » أى على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى ، وقد جاءت كلمة « الأمى » وكلمة « الأميين » فى مواطن من القرآن الكريم .

ففى سورة الأعراف : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . وفى سورة البقرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون » . وفى سورة آل عمران : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » . وفى السورة نفسها : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . وفى سورة الجمعة : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

« سميتك المتوكل » : أى المتوكل على ربه المعتمد عليه فى الرزق والنصر والتوفيق الواثق بتمام وعده ، الصابر على انتظار ثوابه . والله تعالى يقول لرسوله فى القرآن المجيد : « فاذا عزمت فتوكل على الله » .



المسجد الأقصى

المسجد الأقصى ــ أعاده الله ــ كان وقت الاسراء والمعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم خرابا ، ودعــوة الاسلام فى هذا الحين لم تكن قد وصلت الى فلسطين حتى يمكن أن يقال انه كان يوجد فى القدس مسلمون يــؤدون الصلاة فى مكانه ، فكيف سماه القرآن مسجدا حيث يقول الله سبحانــه : **« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ؟**

اسماعيل الدفتردار ــ تركيا

ما ذكره السائل عن المسجد الاقصى يمكن أن يقــال عن المسجد الحرام ، فقد سماه الله مسجدا مع أنه كــان فى ذلك الحين بيتا للأصنام ، وقد سمى الله كلا منهما مسجدا بالنظر الى ما كان عليه وما بنى من أجله ، فقد أنشىء كل منهما للعبادة الصحيحة ، ويمكن أن يقال فى صحة هــذه التسمية إنه أخبار من الله تبارك وتعالى واعلام لنبيه وللناس كافة ان كلا من هذين المكانين سيصبح عما قريب مسجدا مطهرا للمسلمين .

اهانــة العلماء

كثر فى هذه الايام الاستخفاف بالعلماء ، والتهجم على كتب العلم القديمة والتهوين من امرها ، كما كثر اتهام العلماء بالجمود والتشنيع على تراثنا بعــدم ملاءمته للعصر الحاضر ، فلماذا لا يقوم العلماء برد هذه التهم عنهم ؟

عبد الله الواحدى ــ الكويت

هذه حملة مدبرة يراد بها النيل من الاسلام وصرف الناس عنه ، حملة للهدم لا للبناء ، وللفسوق لا للايمان ، وكثير من المسلمين قد ينساقون فى هذا التيار بدافع الغرور بانفسهم مع أنهم يعيشون عالة على أسلافهم وكتبهم ، وقد تعرض الاسلام وعلماؤه لمثل هذه الحملات فى عصور كثيرة ، وانتهت هذه الحملات بالفشل ، وبأصحابها بالخزى ، وبقى الاسلام صرحا منيعــا ، وبقى علمــاؤه مصابيح هادية ، ترمقهم الأجيال بعين الاكبار والاجلال .

وقد وجهت مثل هذه الرسالة الى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فقال فى رده عليها : وأما سب العلماء واهانة الكتب الدينية فهو من أكبر المعاصى لأنه يسقط احترام العلم والدين من نفوس الجاهلين ، ويجرىء السفهاء على الفضلاء ، حتى تكون الأمــة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا عالم يقدر لعلمه .

ولا يضير الشمس من بعينــه رمق ، ولا يغض من حلاوة المــاء مرارة الفم .

والشاعر العربى يقــول :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

النقـــوط

عادة بلادنا فى الأفراح والمناسبات السارة كالميلاد وعيد الزواج أن يقدم الأهل والأصدقاء الى أصحاب المناسبة هدايا نقدية أو عينية ، ويقضى العرف بأن ترد هذه الهدايا أو أكثر منها الى أصحابها عند المناسبات ، فهل هذا حـــلال أو حرام ؟

درويش الطهطاوى

كل ما يبذل من المال بالرضا والاختيار تبرعا ، فلا حرج على باذله ، ولا على المبذول له الا أن يقصد به الاعانة على محرم ، والنقوط عادة يقصد به المساعدة ، ولا يقصد به شىء من المحرمات ، وانما هو اكرام وهدية تؤكد الود وتقـــوى الأخـــوة ، والأصل فى جميع التبرعات الاباحة .

المـــولى

كثيرا ما نسمع هـــذه الكلمة يقولها بعض الناس للعلماء أو للرؤساء ، تعظيما لهم فيقولون مولانا لفلان من الناس ، مع اننا نعلم ان المـــولى هو الله ، وقد جاء فى القرآن الكريم ، « **بل الله مولاكم** » فما رأيكم فى هذا ؟

ابو اياد ــ سوريا

لا بأس باطلاق لفظ المولى على الانسـان للتكريم أو التعظيم ، وقد بين الله تبارك وتعالى أن المؤمنين يعظم بعضهم بعضا ، وليس كل ما أطلق على اللـــه عز وجل يحرم اطلاقه على المخلوق كما هو معلوم من لفظ رءوف ورحيم ، ومن تسمية بعض المسلمين اولادهم بالحكيم والرشيد ، وقد استعمل المسلمون لفـــظ المولى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا العهـــد وهو بمعنى السيد ، وشاع عندهم اطلاقه على المعتوق ، فكانوا يقولون : زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنه ، ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء فى أخيها صخر :

وان صخرا لمولانا وسيدنا   وان صخرا اذا نشتوا لنحـــار

البتـــول

تلقب السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالبتول فما معنى هنا اللقب ؟

قيس الهمذانى ــ بغداد

البتول : لغة النبت الأملود الذى يقطع عن أصله ، والبتول مـــن النساء العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل هى المنتطعة الى الله تعالى عن الدنيا ، والتبتل الانقطاع عن الدنيا .

والبتول لقب أطلق على :

١) السيدة فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم من زوجـــه خديجة بنت خويلد ، وزوج على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ولقبت بالبتـــول لأنها انقطعت عن لداتها فى السن لما كانت عليه من طيب الشمائل .

٢) مريم بنت عمران وأم المسيح عليه السلام ، ولم يرد هذا اللفظ فـــى القرآن الكريم نصا ، ولكن تشير اليه الآية :

« يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » .

بأقلام القراء

ذكرى مولد رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم
وشيء من سيرته

يقول الشيخ عبد الله السند تحت هذا العنوان :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى الخلق جميل الصورة صحيح الجسم ، وكانت ولادته في عام الفيل في الليلة الثانية عشرة أو التاسعة من شهر ربيع الاول الموافقة للعشرين من شهر ابريل ، وكان العام هو الحادي والسبعين بعد الخمسمائة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل فكفله جده شيبة الحمد فأرضعته أمه ثلاثة أيام وكذا ثويبة مولاة أبي لهب عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بارضاعه لحليمة السعدية وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في العيشة الخلوية ، ثم ردته حليمة الى أمه بعد أربع سنين فحضنته الى ان توفيت وله ست سنين فأصبح صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمه فحاطه بعنايته كما يحوط ولده وأهله الا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف وذلك في عنايته تعالى بتربية هذا الرسول الكريم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم .

ولد صلى الله عليه وسلم يتيما ، ونشأ في قومه فقيرا ومات والده في سن الشباب ولم يترك له مالا الا خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان قد ألف رعي الغنم مع أخوته في الرضاع فصار يرعى لأهل مكة فيوفر على كافله أبي طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارته الى الشام وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهنالك رآه بحيرا الراهب وبشر به عمه أبا طالب وحذره من اليهود عليه بعدما رأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم أنه سافر الى الشام مرة ثانية متجرا بمال خديجة تجارة المضاربة فأعطته أفضل ما كانت تعطي غيره اذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة .

كانت خديجة بنت خويلد أعقل وأكمل امرأة في قريش حتى كانت تدعى في الجاهلية « الطاهرة » لما لها من الصيانة والفضائل الطاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام في رحلته معه الى الشام من الاخلاق العالية والفضائل السامية وما قاله بحيرا الراهب لعمه أبي طالب تعلقت رغبتها بأن تتخذه بعلا بل سمت أفكارها الى ما هو أعلى ، فتم ذلك الزواج الميمون ، وكان هو ابن خمس وعشرين وهي ابنة أربعين ، وتوفيت رضي الله عنها بعد البعثة بعشر سنين ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها ، ولا أحب أحدا مثلها ، وكان طول عمره يذكرها .

نشأ يتيما شريفا وشب فقيرا عفيفا ، لم يصبه شيء من رجس الجاهلية فلم يعبد عبادتهم ولم يحضر سامرهم ولا ندوتهم ولم ينظم الشعر كما كانوا ينظمون

ولا عنى بالخطابة كما كانوا يعتنون ، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة أو البحث فى شؤون السياسة ، ولم يشاركهم فى شىء من خرافات الجاهلية وضلالات الشرك ولا من المفاخرة الكلامية وشؤون الغزو والحرب ، بل كان يحب العزلة ويألف الوحدة ، وروى أنه فى حداثته حضر سمرهم مرتين القى الله فيهما عليه النوم .

ولد من اصطفاه الله لرسالته واختاره لاخراج الناس من الظلمات الى النور من الباطل الزهوق الى الحق الذى هو احق أن يتبع من عبادة الاوثان والتمسك بالاوهام الى توحيد الله العلى الكبير من تعاظم الانسان على أخيه الانسان الى الحب فى الله والأخوة فى الدين ، من تنافر الآراء وتعدد الأهواء وفوضى النظم وتباين المشاعر وتشتت السبل والاهداف الى الوحدة فى المعتقد والوحدة فى الاتجاه من تحين الفرص للسلب والنهب وغزو الآمنين والافتخار بالظلم والانتقام الى الدأب على نشر الهدى والايمان والمسارعة الى اعلاء كلمة الله .

وهكذا كانت الرسالة تحمل الهدى للارواح بعد ضلالها ، وتشيع الثقة فى النفوس بعد حيرتها واضطرابها ، وتنشر الأمن والسلام فى الناس بعد ذلك الشقاق القاتل ، وبعد تلك الحروب المبيدة ، وكانت تبدل الشحنات والبغضاء بالمودة والألفة والايثار والمشاركة فى الشعور بالآلام والمسرات بحيث يكونون كالجسد الواحد يتألم بعضه للبعض الآخر ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبعد أن طهرت القلوب من فاسد الاعتقاد ودنس الاباطيل ملأتها هدى ويقينا ، وعفة وايمانا ، وجرى فى عروقها الاعتزاز بالله سبحانه وحب العمل الصالح الخالص فى سبيل الله فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس قال الله عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » .

وقد علمتهم آيات الله وسيرة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يتواصوا بالصبر ويتواصوا بالرحمة بعد أن ـــ أوجبت على كل مؤمن أن يصبر ويثبت ، أمرتهم مجتمعين أن يوصى بعضهم بعضا بذلك ففرضت عليهم أن يكونوا مثبتين لا مثبطين ، ومناصرين لا مخاذلين ، أوجبت عليهم وجوبا حتميا أن يتعاونوا على دفع ما يحل بهم من المصائب والنوازل ويكونوا يدا واحدة عندما تقع على الأمة الكوارث وتشتد الأزمات ، وتدلهم الخطوب ، وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد أقرت فى نفوس المسلمين أن راس الحكمة مخافة الله تعالى وبمخافة الله عز وجل استطاعوا أن يسيطروا على نزعات النفوس وهواها الذى استولى على العصاة فأوردهم النار وبئس الورد المورود .

أما المؤمنون الصادقون فقد نهوا أنفسهم عن هواها واستعانوا بالخوف من الله فأنجاهم جل شأنه وادخلهم فى رحمته .

لقد تجمعت الفضائل البشرية ومكارم الاخلاق فى خلق الرسول محمد وفى سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكان المثل الأعلى فى كل فضيلة ، وكان العبقرى الفذ فى كل معرفة ، وكان افضل البشر فى كل مكرمة وسبحان من قال له : « وانك لعلى خلق عظيم » فكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، وافصح الناس واعلم الناس ، وأسخى الناس ، واعدل الناس واعف الناس غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، فزاد فى عبادته ، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ، ولما قيل له فى ذلك قال : افلا اكون عبدا شكورا ، وكان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء والمساكين ، ويبدأ أصحابه بالسلام وكان كواحد من سائر المسلمين وتراه يساعد أهله فى شؤون بيته كان يفعل ذلك واكثر من ذلك ليضرب للمؤمنين

أمثلة عملية فى الابتعاد عن الكبر وعن التعاظم ، ويعلمهم أن الطيب من الناس من كان طيبا بأعماله وأخلاقه لا بمنصبه وجاهه .

فصلوات الله وسلامه عليه فى الأولين والآخرين .

• • • • • • • • •

دعــــاوى المبطلين

وكتب الأستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

ذات مساء قابلنى شـــــاب تجاذبت معه الحديث حول مشكلات العالـــم الاسلامى .. واذا بآخر يتحم نفســــه بيننا ويقول : ـــ فيم تتناقشــون ؟ وعـــم تتساءلون ؟ دعونا من الاسلام ودعاوى الايمان .. لقد سحق المسلمون واستبيح دمهم وديست مقدساتهم .. فأين الهكم يحول بينكم وبين ما أنتم فيه من ضيـــاع وتشرد ومذلة وهوان .. دعونا نواجه المعتدى بالصواريخ وتكنولوجيا العلم ...

يا سبحان الله !!..

انطلب ايمانا يهدر السنن الكونية ويتكفل عنا بأعباء الحياة كما قال بنـــو اسرائيل لموسى عليه السلام « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ؟ !!

ان مسلمى مدرسة النبوة حين خالفوا أمرا من الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى غزوة أحد حاقت بهم هزيمة مروعة .. أفنبغى ـــ نحن ـــ نصرا ملائكيا ـــ ان صح التعبير ـــ ونحن ننأى عن هدى الله ونتنكب صرطه المستقيم ؟ !!

ان الكعبة ـــ فى عهد الاسلام ـــ رميت بالمنجنيق وهدمت أكثر من مرة ولم ينزل الله تعالى على مرتكبى هذا الجرم « طيرا ابابيل » كما فعل بأبرهة الحبشة .. لماذا ؟ لأنه فى العهد الأول لم يكن للايمان جند فتكفل الله تعالى بحماية بيتـــه ليظل مثابة للناس وأمنا .. وحين فتح المسلمون مكة استودع الله سبحانه بيتـــه الحرام أيدى المسلمين ليبتليهم « وليمحص الله الذين آمنوا » ...

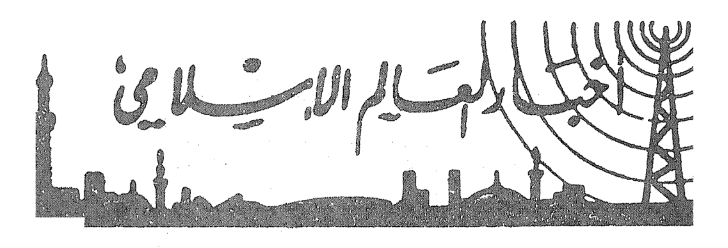
ثم ان الايمان ليس تقاعسا عن الحياة ونضالها انتظارا لخوارق العادات فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الذين يزعمون ذلك انما يريدون ان يسلبوا الانسان خصائصه النوعية ويهـــــووا به الى مكان سحيق يلتقى فيه بالقـــردة والخنازير وهوام الارض ..

وان المسلمين يوم عرفوا طريقهم الى كتـــاب الله واستلهموه رشـــــدهم وصبروا وصابروا وأوذوا وقتلوا ـــ جاءهم نصر الله وقادهم الى أمة هى مـــن التاريخ غرته ، ومن الزمان ربيعه ، ووصلوا الى حضـــــارة الارض وسعـــادة السماء ..

وان دعاوى العلم والتقدم التكنولوجى كلمة حق أريد بها باطل ... فهل الايمان عاق المسلمين عن تقدمهم الحضارى أم أن تخليهم عنه هو سبب ترديهم الحيوانى ؟!

ان المسلمين يوم رغبوا عن دينهم تناهشتهم ذئـــاب الأرض ، وأضحـــت مصائرهم بيدى المستعمر الدخيل ...

واذا كان البحث العلمى قد صودر يوما ما بقانون كنسى .. فان التهمة لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقلها غر ليلصقها بالاسلام الذى أتاح للفكر مناخه الصحى بتلك الاشراقة الأولى للوحى الآلهى .. « اقرأ باسم ربك الـــذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .. » ..



اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : رفع معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية تقريرا الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم عن مؤتمر علماء المسلمين السادس الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى .

● مثل الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وسعادة وكيل الوزارة المساعد .

● وافق مجلس الامة على مشروع قانون الوصية الواجبة واعلن المجلس استنكاره للمحاولات التى ترمى لضرب المقاومة الفلسطينية .

● قام وفد صومالى برئاسة وزير الخارجية بزيارة البلاد وقد اجرى مباحثات مع المسئولين استهدفت تدعيم التعاون الاسلامى .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بان الحرب الدائرة بين العرب والصهيونية جهاد فى سبيل الله . وقال ان الاسلام كل لا يتجزأ ، وان انحراف البعض لا يجيز للآخرين أن يتأخروا عن واجبهم .

● شكلت لجنتان فى وزارة التربية لمقابلة المتقدمين محليا لوظائف التدريس فى العام القادم .

القاهرة : عقد مؤتمر علماء المسلمين السادس فى القاهرة وقد القى الرئيس انور السادات كلمة فى العلماء قال فيها : نحن مقبلون على اكثر المعارك شراسة فى تاريخ الأمة الاسلامية وسنخوضها مهما كانت ضراوتها ومهما كان الثمن وقال الرئيس السادات : على ارضنا كان الصمود دائما دفاعا عن الاسلام ومقدساته ..

● قرر المؤتمر العالمى للجمعيات والمنظمات الاسلامية الذى انعقد فى الشهر الماضى انشاء بنك اسلامى واتخذت الاجراءات لجمع أسهمه من الدول الاسلامية كما قرر تنشيط الفكر الاسلامى وانشاء اتحاد عالمى للشباب المسلم .

● قام وفد أزهرى برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر بجولة فى امارات الخليج العربى لتدعيم التعاون الاسلامى بين الازهر وامارات الخليج .

● سيفتتح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الازهر ٣ معاهد دينية فى محافظة الشرقية وستبدأ الدراسة بها اول العام القادم .

● وافق مجلس الامة بالاجماع على اصدار سندات الجهاد على الخزانة العامة لمدة عشر سنوات .

السعودية : قام السيد عمر السقاف باجراء مباحثات مع المسئولين فى القاهرة حول الاستعانة بعدد كبير من المعلمين فى مدارس وجامعات المملكة .

● تقوم رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بدعم جهود المراكز الاسلامية فى العالم بالمكتبات الثقافية والاسلامية .

● قدمت المملكة دفعة كبيرة من المعونة التعليمية لليمن وسيتم ارسال دفعات اخرى قريبا .

● قام وفد ثقافى سعودى حيث اتفق مع المسئولين عن التعليم فى المغرب على امور تهم البلدين فى مجال التربية والتعليم .

الاردن : اشتعلت المعارك فى الشهر الماضى بين الجيش الاردنى والفدائيين خاصة فى جرش

ومجلون وآريد وامتد التوتر الى عمان نفسها وقد سحبت كل من السودان — ومصر — وليبيا — من قبل ضباطها من لجنة المتابعة العربية .

● كشف السيد روحى الخطيب عمدة القدس السابق عن مخطط صهيونى يرمى الى الاستيلاء على ساحات المسجد الاقصى وتحويلها الى أماكن عبادة يهودية وقد كونت اسرائيل منظمة لهذا الغرض اسمتها « أمناء جبل البيت » .

● وجه مدير عام اليونسكو نداء الى شعوب العالم لتقديم العون اللازم لتربية أبنــاء اللاجئين الفلسطينيين واعلن مدير المنظمة العالمية أن جهود المنظمة قد يكون مآلها الفشل لقلة الاعتمــادات وتزايد اللاجئين .

● قامت القوات الاسرائيلية بهدم مسجد فى منطقة الجليل وعشرة بيوت عربية واعتقلت اصحابها .

● قامت شرطة الامن فى عمان بحملة على الشباب الذين يقلدون « الهيبز » حيث كانت تقتــادهم لتقص شعورهم حفاظا على الاخلاق .

العــراق : تبحث المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس استبدال الارقام العربية المستعملة حاليــا فى العالم وفى دول المغرب العربى بدلا من الارقام الهندية المستعملة الآن فى المشرق العربى .

● بدات محافظة السليمانية باستعمال اللغة الكردية الى جانب اللغة العربية فــى المراسلات والمكاتبات الرسمية داخل المحافظة .

سوريا : وقعت اتفاقية بين سوريا وتركيا لحل مشكلة أملاك كل منهما الموجودة فى البلد الاخر .

لبنــان : قام رئيس الوزراء اللبنانى بجولة فى كل من دمشق وبغداد والسعودية لتوطيــد العلاقات بين البلدان الثلاثة ولبنــان .

الســودان : اجرى وزير الارشاد القومى السودانى مباحثات مع المسئولين فى العربية المتحــدة استهدفت تدعيم التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين وتم الاتفاق على تزويد السودان بالمصاحف المرتلة والمجودة والمكتبات الاسلامية .

ليبيــا : يعد قريبا مشروع لانشاء مركز للبحوث والدعوة الاسلامية بمدينة طرابلس .

● عقدت ليبيا اتفاقات لتبادل اليد العاملة مع كل من العربية المتحدة وتونس .

تونــس : تنظم اللجنة الثقافية للجهوية بسدسة مسابقتها السنوية الرابعة بين الشبان لحــفظ القرآن الكريم بجوائز مالية للفائزين .

الجــزائر : اسفرت حملة التضامن من اجل الشعب الفلسطينى التى نظمها حزب جبهــة التحرير مع وزارة الاوقاف الجزائرية عن جمع مبلغ ٣١٥ الف جنيه استرلينى .

المغــرب : سيقوم عدد من المهندسين الاوزبكيون بترميم منارة جامع الكتبية بالمغرب والذى يرجــــع تاريخه الى القرن الثانى عشر .

● تلبية لطلب المؤتمر التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى من المغرب قامت المغرب باهداء عــدد ضخم من المصاحف بخط مغربى الى نيجيريا .

تركيــا : أسس جماعة من الاساتذة الجامعيين وكبار الاسلاميين المتخصصين جمعية على مستوى علمى عال لبحث المسائل الاجتماعية والاقتصادية على ضوء الاسلام .

باكستان : اشتعلت الحرب الاهلية فى باكستان الشرقية لقمع الحركة الانفصالية التى دعا اليهــا مجيب الرحمن لكن الامور سرعان ما هدأت وعادت الى طبيعتها فى باكستان .

الهنــــد : يقوم وفد من علماء الهند فى جامعة بنارس الاسلامية بجولة فى بعض الدول الاسلامية وامارات الخليج العربى .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ـــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكويت